







رحمه الله تعالى



أخطاء في العقيدة

وتنبيهات مهمة



الطبعة الثانية

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م


أخطاء في العقيدة
وتنبيهات مهمة


سماحة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رحمه الله تعالى



أخطاء في العقيدة[1]

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يراه من المسلمين وفقهم الله لما فيه رضاه، وزادهم من العلم والإيمان آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد:

بلغني أن كثيراً من الناس يقع في أخطاء كثيرة في العقيدة؛ وفي أشياء يظنونها سنة وهي بدعة.

* **ومن ذلك: إنكار علو الله واستوائه على عرشه، ومعلوم أن الله سبحانه بين ذلك في كتابه الكريم حيث قال سبحانه:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، الآية، ذكر ذلك سبحانه في سبع آيات من كتابه العظيم منها هذه الآية، ولما سئل مالك عن ذلك رحمه الله قال: **(الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب)**، وهكذا قال غيره من أئمة السلف.

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: (٨/ ٢٨-٣٣).

ومعنى «الاستواء معلوم» يعني: من جهة اللغة العربية: وهو العلو والارتفاع، وقال سبحانه: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾[غافر:١٢]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥]، وقال عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[فاطر:١٠]، في آيات كثيرة كلها تدل على: علوه وفوقيته، وأنه سبحانه فوق العرش فوق جميع الخلق، وهذا قول أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم. فالواجب اعتقاد ذلك، والتواصي به، وتحذير الناس من خلافه.

* **ومن ذلك: اتخاذ المساجد على القبور والصلاة عندها وجعل القباب عليها**، وهذا كله من وسائل الشرك، وقد لعن النبي ﷺ اليهود والنصارى على ذلك، وحذر منه فقال ﷺ: **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[1]،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب مايكره من اتخاذ المساجد على القبور، رقم (١٣٣٠)؛ ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم (٥٢٩).

متفق على صحته، وقال ﷺ: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألافلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»[1]، أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جندب، وخرّج مسلم في صحيحه أيضاً عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه»[2]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

فالواجب على المسلمين الحذر من ذلك، والتواصي بتركه؛ لتحذير النبي ﷺ من ذلك، ولأن ذلك من وسائل الشرك بأصحاب القبور ودعائهم والاستغاثة بهم وطلبهم النصر.. إلى غير ذلك من أنواع الشرك.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم (٥٣٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه، رقم (٩٧٠).

ومعلوم أن الشرك هو أعظم الذنوب وأكبرها وأخطرها، فالواجب: الحذر منه، ومن وسائله وذرائعه، وقد حذر الله عباده من ذلك في آيات كثيرات، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، ومنها قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[الزمر:٦٥]، ومنها قوله عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[الأنعام:٨٨]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ومن أنواع الشرك الأكبر: دعاء الأموات والغائبين والجن والأصنام والأشجار والنجوم، والاستغاثة بهم، وسؤالهم شفاء المرضى والنصر على الأعداء.

وهذا هو دين المشركين الأولين من كفار قريش وغيرهم، كما قال الله سبحانه عنهم: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾

[يونس:١٨]، الآية، وقال سبحانه: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر:٢-٣]. والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهي تدل على أن المشركين الأولين يعلمون أن الله هو الخالق الرازق النافع الضار، وإنما عبدوا آلهتهم ليشفعوا لهم عند الله، ويقربوهم لديه زلفى، فكفرهم سبحانه بذلك، وحكم بكفرهم وشركهم، وأمر نبيه بقتالهم حتى تكون العبادة لله وحده، كما قال سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾[الأنفال:٣٩]، الآية.

وقد كتب العلماء في ذلك كتباً كثيرة، وأوضحوا فيها حقيقة الإسلام الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، وبينوا فيها دين الجاهلية وعقائدهم وأعمالهم المخالفة لشرع الله، كعبد الله بن الإمام أحمد، والإمام الكبير: محمد بن خزيمة في (كتاب التوحيد)، ومحمد بن وضاح، وغيرهم من الأئمة.

ومن أحسن ما كتب في ذلك ما كتبه شيخ الإسلام: ابن تيمية رحمه الله في كتبه الكثيرة، ومن أخصرها كتابه (القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة)، ومن ذلك ما كتبه الشيخ: عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله في كتابه (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد).

* **ومن الأعمال المنكرة الشركية: الحلف بغير الله: كالحلف بالنبي ﷺ، أو بغيره من الناس، والحلف بالأمانة، وكل ذلك** من المنكرات ومن المحرمات الشركية؛ **لقول النبي ﷺ: «من حلف بشيء دون الله فقد أشرك»**[1]، **خرجه الإمام أحمد رحمه** الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإسناد صحيح.

وأخرج أبو داود والترمذي بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «من

---

(١) أخرجه أحمد (٣٣١).

حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[١]، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «من حلف بالأمانة فليس منا»[٢]، والأحاديث في ذلك كثيرة.

والحلف بغير الله من الشرك الأصغر عند أهل العلم؛ فالواجب: الحذر منه، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهكذا **قول: ما شاء الله وشاء فلان، ولولا الله وفلان، وهذا من الله ومن فلان، والواجب أن يقال: ما شاء الله ثم شاء فلان، أو لولا الله ثم فلان، أو هذا من الله ثم من فلان؛** لما ثبت عنه ﷺ **أنه قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»**[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٦٠٣٦)؛ وأبو داود: كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، رقم (٣٢٥١)؛ والترمذي: كتاب النذور والأيمان، باب ماجاء في كراهية الحلف بغير الله، رقم (١٥٣٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٤٧١)؛ وأبو داود: كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالأمانة، رقم (٣٢٥٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٤٧٣٦)؛ وأبو داود: كتاب الأدب، باب لايقال: خبثت نفسي، رقم (٤٩٨٠).

* ومن المحرمات الشركية التي قد وقع فيها كثير من الناس: تعليق التمائم والحروز من العظام أو الودع أو غير ذلك، وتسمى: التمائم، وقد قال ﷺ «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له**»[١]، «**ومن تعلق تميمة فقد أشرك**»[٢]، وقال ﷺ: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»[٣]، وهذه الأحاديث تعم الحروز والتمائم من القرآن وغيره؛ لأن الرسول ﷺ لم يستثن شيئاً، ولأن تعليق التمائم من القرآن وسيلة إلى تعليق غيرها، فوجب منع الجميع؛ سداً لذرائع الشرك، وتحقيقاً للتوحيد، وعملاً بعموم الأحاديث، إلا الرقى فإن الرسول ﷺ استثنى منها ما ليس فيه شرك، فقال ﷺ: «لا

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٥١).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٩٦٩).

(٣) أخرجه أحمد (٣٦٠٤)؛ وأبو داود: كتاب الطب، باب في تعليق التمائم، رقم (٣٨٨٣)؛ وابن ماجه: كتاب الطب، باب تعليق التمائم، رقم (٣٥٣٠).

بأس بالرقى ما لم تكن شركاً"[١]، وقد رقى ﷺ بعض أصحابه، فالرقى لا بأس بها، فهي من الأسباب الشرعية إذا كانت من القرآن الكريم أو مما صحت به السنة أو من الكلمات الواضحة التي ليس بها شرك ولا لفظ منكر.

* **ومن المنكرات المبتدعة: الاحتفال بالموالد** سواء كان **ذلك بمولد النبي ﷺ أو غيره**؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعله، ولا **خلفاؤه الراشدون**، ولا بقية الصحابة رضي الله عنهم، ولا **أتباعهم بإحسان في القرون الثلاثة المفضلة**، وإنما حدث في **القرن الرابع وما بعده**؛ بسبب الفاطميين وغيرهم من الشيعة، **ثم فعله بعض أهل السنة**؛ جهلاً بالأحكام الشرعية، وتقليداً **لمن فعله من أهل البدع**.

فالواجب: الحذر من ذلك؛ لكونه من البدع المنكرة الداخلة في قوله ﷺ: **"إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة**

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى، رقم (٣٨٨٦).

بدعة، وكل بدعة ضلالة»[١]، وقوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٢]، متفق على صحته من حديث عائشة رضي الله عنها، وقوله ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٣]، خرجه مسلم في صحيحه، وقوله ﷺ في خطبه: «**أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**»[٤]، خرجه مسلم في صحيحه، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٦٩٤)؛ وأبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧)؛ وابن ماجه: المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل، رقم (٤٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم (٢٦٩٧)؛ ومسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، رقم (١٧١٨).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، رقم (١٧١٨).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٧).

ولأن الاحتفال بالموالد من وسائل الغلو والشرك، فالواجب الحذر منها، والتحذير منها، والتواصي بالاستقامة على السنة وترك ما خالفها.

والله المسؤول أن يوفقنا وإياكم وسائر المسلمين لما فيه رضاه، وأن يمنحنا جميعاً الفقه في دينه والثبات عليه، وأن يعيذنا وجميع المسلمين من مضلات الفتن ونزغات الشيطان، إنه ولي ذلك والقادر عليه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها(١)

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصَّلاة والسَّلام الأتمَّان الأكملان على عبده ورسوله وخليله، وأمينه على وحيه، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيله، واهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فلا ريب أن سلامة العقيدة أهم الأمور وأعظم الفرائض؛ ولهذا رأيت أن يكون عنوان هذه الكلمة: (القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها).

العقيدة: هي ما يعتقده الإنسان ويدين به، من خير وشرٍّ، من فساد وصلاح.

والمطلوب: هو التمسك بالعقيدة الصحيحة، وما يجب على العبد في ذلك؛ لأن في هذا العالم عقائد كثيرة، كلّها فاسدةٌ إلا العقيدة التي جاء بها كتاب الله، وسنَّة رسوله ﷺ، وهي العقيدة

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: (٨/ ٨-٢٧).

الإسلامية الصافية النقية من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، هذه هي العقيدة التي جاء بها كتاب الله ، ودلّت عليه سنة رسول الله ﷺ ، وهي : الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران:١٩]، وقال عز وجل: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة:٣].

فالإسلام هو دين الله، لا يقبل من أحد سواه، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران:٨٥].

وهو دين الأنبياء كلهم، فهو دين آدم أبينا عليه الصلاة والسلام، وهو دين الأنبياء بعده: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وداود، وسليمان، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ودين غيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو دين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام الذي بعثه الله به للناس عامّةً، قال

النبي ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلاَّت، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[(١)]، وفي لفظ: «أولاد علاَّت»[(٢)].

والمعنى: أن دين الأنبياء واحد: وهو توحيد الله، والإيمان بأنه رب العالمين، وأنَّه الخلاَّق العليم، وأنه المستحق للعبادة دون كل ما سواه، والإيمان بالآخرة والبعث والنشور، والجنة والنار والميزان، وغير هذا من أمور الآخرة.

أما الشرائع فهي مختلفة، وهذا معنى: «أولاد علاَّت»: أولاد لضرَّات، كنّى بهذا عن الشرائع، كما قال سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة: ٤٨].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ...﴾، رقم (٣٤٤٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ...﴾، رقم (٣٤٤٢).

إخوة الأب: أبوهم واحد وأمهاتهم متفرقات، هكذا الأنبياء دينهم واحد وهو: توحيد الله والإخلاص له.

وهو معنى (لا إله إلا الله)، وهو: **إفراد الله بالعبادة**، والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشرِّه، وما يتفرع بعد ذلك من البعث والنشور، والجنة والنار، والميزان والحساب والصراط، وغير هذا.

هكذا الأنبياء دينهم واحد، كلّهم جاؤوا بهذا الأمر- عليهم الصلاة والسلام- ولكن الشرائع تفرقَّت، بمثابة الأولاد لأمهات العلاَّت، فشريعة التوراة فيها ما ليس في شريعة الإنجيل، وفي الشرائع التي قبلها أشياء ليست فيها، وفي شريعة نبينا محمد ﷺ أشياء غير ما في التوراة والإنجيل، فقد يسَّر الله على هذه الأمة وخفف عنها الكثير: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[الأعراف:١٥٧]، وقال عليه الصلاة و السلام: «**بُعِثْتُ بالحنيفية السَّمحة**»(١).

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٨٨).

فالله بعثه بشريعة سمحة ليس فيها آصار، وليس فيها أغلال، وليس فيها حرج، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحج:٧٨].

كان أتباع الشرائع الماضية قبل شريعة نبينا ﷺ لا يتيممون عند فقد الماء، بل يؤخرون الصلوات ويجمعونها حتى يجدوا الماء، ثم يتوضأون ويصلون، وجاء في هذه الشريعة المحمدية التيمم، فمن عدم الماء أو عجز عنه تيمم بالتراب وصلَّى، وجاء في ذلك أنواع كثيرة من التيسير والتسهيل.

وكان كل نبيٍّ يُبعث إلى قومه خاصَّة، وبُعِثَ النبي محمد ﷺ إلى الناس عامة، إلى الجن والإنس، والعرب والعجم، وجعله الله خاتم الأنبياء.

وكان مَنْ قبلنا لا يُصلُّون إلا في بِيَعِهم ومساجدهم ومحلات صلاتهم، أما في هذه الشريعة المحمدية فإنك تصلي حيث كنت، في أي أرض الله حضرت الصلاة صليت، في أي

أرض الله؛ من الصحاري والقفار، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**»[1].

فالشريعة الإسلامية التي جاء بها نبينا ﷺ شريعة واسعة ميسرة ليس فيها حرج ولا أغلال.

ومن ذلك: المريض: لا يلزمه الصوم، بل له أن يفطر ويقضي.

والمسافر: يقصر الصلاة الرباعية، ويفطر في رمضان، ويقضي الصوم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[البقرة:١٨٥].

والمصلي: إن عجز عن القيام صلَّى قاعداً، وإن عجز عن القعود صلى على جنبه، وإن عجز عن الصلاة على جنبه صلى مستلقياً، كما صحت بذلك السنَّة عن رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التيمم، باب وقول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾، رقم (٣٣٥).

وإذا لم يجد من الأكل ما يسد رمقه من الحلال جاز له أن يأكل من الميتة ونحوها ما يسدُّ رمقه حتى لا يموت.

فالعقيدة الإسلامية: هي توحيد الله والإخلاص له سبحانه، والإيمان به، وبرسله، وبكتبه، وبملائكته، وباليوم الآخر من البعث والنشور، ومن الجنة والنار وغير ذلك من أمور الآخرة، والإيمان بالقدر خيره وشرِّه وأنه سبحانه قدَّر الأشياء، وعَلِمها وأحاط بها، وكتبها عنده سبحانه وتعالى.

ومن أركان الإسلام: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج. ومن واجباته وفرائضه: الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، إلى غير ذلك.

فالإسلام: هو الاستسلام لله، والانقياد له سبحانه بتوحيده، والإخلاص له والتمسك بطاعته وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام، ولهذا سُمّي إسلاماً؛ لأن المسلم يُسلم أمره

لله، ويوحّده سبحانه ويعبده وحده دون ما سواه، وينقاد لأوامره ويدع نواهيه، ويقف عند حدوده، هكذا الإسلام.

وله أركان خمسة وهي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

والشهادتان معناهما: توحيد الله والإخلاص له، والإيمان بأن محمداً رسوله عليه الصلاة والسلام إلى جميع الثقلين الجن والإنس، وهاتان الشهادتان هما أصل الدين، وهما أساس الملّة، فلا معبود بحق إلا الله وحده، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، كما قال عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ ﴾[الحج:٦٢].

وأما شهادة أن محمداً رسول الله فمعناها: أن تشهد – عن يقين وعلم – أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي المكي ثم المدني هو رسول الله حقاً، وهو أشرف عباد الله،

وقرابته وأسرته هم أفضل العرب على الإطلاق، فهو خيارٌ من خيار من خيار عليه الصلاة والسلام، وهو أشرف الخلق وسيِّد ولد آدم صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه.

فعليك أن تؤمن بأن الله بعثه للناس عامَّة؛ إلى الجن والإنس، إلى الذكور والإناث، إلى العرب والعجم، إلى الأغنياء والفقراء، إلى الحاضرة والبادية، هو رسول الله إلى الجميع؛ من اتبعه فله الجنَّة، ومن خالف أمره فله النار، قال النبي ﷺ: **«كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قيل: يا رسول الله، ومن يأبى؟! قال: من أطاعني دخل الجنة،ومن عصاني فقد أبى»**[1]،أخرجه البخاري في صحيحه.

فهذه العقيدة الإسلامية العظيمة مضمونها: توحيد الله، والإخلاص له، والإيمان برسوله محمد ﷺ، وأنه رسولُهُ حقاً،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم (٧٢٨٠)

والإيمان بجميع المرسلين، مع الإيمان بوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج، والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله.

هذه هي العقيدة الإسلامية المحمدية، وقد وقع من بعض الناس قوادح فيها، ونواقض تنقضها يجب أن نبينها في هذه الكلمة.

والقوادح قسمان:

* قسم ينقض هذه العقيدة ويبطلها، فيكون صاحبه كافراً، نعوذ بالله.

*وقسم يُنقص هذه العقيدة ويُضعفها.

فالأول: يسمى ناقضاً وهو: الذي يبطلها ويفسدها، ويكون صاحبه كافراً مرتداً عن الإسلام.

وهذا النوع هو: **القوادح المكفرة**: وهي نواقض الإسلام، وهي الموجبة للردّة، هذه تسمى: نواقض.

والناقض: يكون قولاً، ويكون عملاً، ويكون اعتقاداً، ويكون شكّاً.

فقد يرتدُّ الإنسان بقولٍ يقوله، أو بعمل يعمله، أو باعتقاد يعتقده، أو بشكٍّ يطرأ عليه، هذه الأمور الأربعة كلُّها يأتي منها الناقض الذي يقدح في العقيدة ويبطلها، وقد ذكرها أهل العلم في كتبهم وسمَّوا بابها **(باب حكم المرتد)**، فكلُّ مذهب من مذاهب العلماء، وكلُّ فقيه من الفقهاء ألَّف كتباً - في الغالب - عند ما يذكر الحدود يذكر **(باب حكم المرتد)**: وهو الذي يكفر بعد الإسلام، ويسمى هذا: مرتداً، يعني: أنه رجع عن دين الله وارتد عنه، قال فيه النبي ﷺ: **«من بدَّل دينه فاقتلوه»**[1]، خرجه البخاري في الصحيح.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لايعذب بعذاب الله، رقم (٣٠١٦).

وفي الصحيحين: أن النبي ﷺ بعث أبا موسى الأشعري إلى اليمن، ثم أتبعه معاذ بن جبل رضي الله عنهما، فلما قدم عليه قال: «انزل»، وألقى له وسادةً، وإذا رجلٌ عنده مُوثق، قال: ما هذا؟ قال: هذا كان يهودياً فأسلم ثم راجع دينه - دين السوء - فتهوَّد، فقال معاذ: لا أنزل حتى يقتل، قضاء الله ورسوله، فقال: انزل، قال: لا أنزل حتى يقتل، قضاء الله ورسوله، ثلاث مرات، فأمر به أبو موسى رضي الله عنه فقُتل(١).

فدّل ذلك على أن المرتد عن الإسلام يقتل، إذا لم يتب، يستتاب فإن تاب ورجع فالحمد لله، وإن لم يرجع وأصر على كفره، وضلاله يقتل، ويعجل به إلى النار؛ لقوله ﷺ: «من بدَّل دينه فاقتلوه»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد والمرتدة، رقم (٦٩٢٣)؛ ومسلم: كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، رقم (١٨٢٤).

(٢) سبق تخريجه.

الردَّة بالقول: مثل: سب الله، هذا قول ينقض الدين، وهكذا سبّ الرسول ﷺ، يعني: اللعن والسبّ لله ولرسوله، أو العيب والتنقّص، مثل أن يقول: إنَّ الله ظالم، إن الله بخيل، إن الله فقير، إن الله جل وعلا لا يعلم بعض الأمور، أو لا يقدر على بعض الأمور، كُلُّ هذه الأقوال وأشباهها سبٌّ وردَّةٌ عن الإسلام.

فمن انتقص الله أو سبَّه أو عابه بشيء فهو كافر مرتد عن الإسلام - نعوذ بالله من ذلك - وهذه ردة قوليه، إذا سب الله أو استهزأ به أو تنقصه أو وصفه بأمر لا يليق، كما تقول اليهود: إن الله بخيل، إن الله فقير ونحن أغنياء، وهكذا لو قال: إن الله لا يعلم بعض الأمور، أو لا يقدر على بعض الأمور، أو نفى صفات الله ولم يؤمن بها، فهذا يكون مرتداً بأقواله السيئة.

أو قال مثلاً: إن الله لم يوجب علينا الصلاة، فهذه ردة عن الإسلام، فمن قال: إن الله لم يوجب الصلاة فقد ارتدَّ عن الإسلام بإجماع المسلمين، إلا إذا كان جاهلاً بعيداً عن المسلمين

لا يعرف، فيعلَّم، فإن أصرّ كفر. وأما إذا كان بين المسلمين، ويعرف أمور الدِّين، ثمَّ قال: ليست الصلاة بواجبة؛ فهذه ردَّة، يستتاب منها، فإن تاب وإلا قتل، أو قال: الزكاة غير واجبة على الناس، أو قال: صوم رمضان غير واجب على الناس، أو الحج مع الاستطاعة غير واجب على الناس، من قال هذه المقالات كفر إجماعاً، و يستتاب فإن تاب وإلا قتل - نعوذ بالله من ذلك- وهذه الأمور ردَّةٌ قولية.

ومنها: **الردَّة بالفعل:** والردة الفعلية مثل: ترك الصلاة، فكونه لا يصلي وإن قال: إنها واجبة – لكن لا يصلي - هذه ردَّة على الأصح من أقوال العلماء؛ لقول النبي ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»[1]، رواه الإمام أحمد،

(١) أخرجه أحمد (٢٢٤٢٨)؛ والترمذي: كتاب الإيمان، باب ماجاء في ترك الصلاة، رقم (١٦٢١)؛ والنسائي: كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، رقم (٤٦٣)؛ وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ماجاء فيمن ترك الصلاة، رقم (١٠٧٩)

والترمذي، والنسائي، وابن ماجه بإسناد صحيح، وقوله ﷺ: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[(١)]، أخرجه مسلم في صحيحه.

وقال عبد الله بن شقيق العُقيلي - التابعي المتفق على جلالة قدره رحمه الله: (**كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفرٌ غير الصلاة**)[(٢)]، رواه الترمذي، وإسناده صحيح. وهذه ردَّة فعلية، وهي ترك الصلاة عمداً.

ومن ذلك: لو استهان بالمصحف الشريف وقعد عليه مستهيناً به، أو لطَّخه بالنجاسة عمداً، أو وطأه بقدمه يستهين به، فإنه يرتد بذلك عن الإسلام.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم (٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الإيمان، باب ماجاء في ترك الصلاة، رقم (٢٦٢٢).

ومن الردة الفعلية: كونه يطوف بالقبور يتقرب لأهلها بذلك ، أو يصلي لهم أو للجن، وهذه ردَّة فعلية.

أما دعاؤه لهم والاستعانة بهم والنذر لهم: فَردَّة قولية.

أما من طاف بالقبور، يقصد بذلك عبادة الله، فهو بدعة قادحة في الدين، ووسيلة من وسائل الشرك، ولا يكون ردَّة، إنما يكون بدعة قادحة في الدين إذا لم يقصد التقرب إليهم بذلك، وإنما فعل ذلك تقرباً إلى الله سبحانه جهلاً منه.

ومن الكفر الفعلي: كونه يذبح لغير الله، ويتقرب لغيره سبحانه بالذبائح، يذبح البعير أو الشاة أو الدجاجة أو البقرة لأصحاب القبور تقرباً إليهم يعبدهم بها، أو للجن يعبدهم بها، أو للكواكب يتقرب إليها بذلك، وهذا مما أُهل به لغير الله، فيكون ميتةً، ويكون كفراً أكبر نسأل الله العافية من ذلك، هذه كلُّها من أنواع الردَّة والنواقض عن الإسلام الفعلية.

ومنها: الردَّة بالاعتقاد:

ومن أنواع الردَّة العقدية التي يعتقدها بقلبه وإن لم يتكلم بها ولم يفعل، بل بقلبه يعتقد: إذا اعتقد بقلبه أن الله جل وعلا فقير، أو أنه بخيل، أو أنه ظالم، ولو أنه ما تكلم، ولو لم يفعل شيئاً، هذا كفر – بمجرد هذه العقيدة – بإجماع المسلمين.

اعتقد بقلبه أنه لا يوجد بعث ولا نشور، وأن كل ما جاء في هذا ليس له حقيقة، أو اعتقد بقلبه أنه لا يوجد جنة أو نار، ولا حياة أخرى، إذا اعتقد ذلك بقلبه ولو لم يتكلم بشيء، هذا كفر وردَّة عن الإسلام – نعوذ بالله من ذلك – وتكون أعماله باطلة، ويكون مصيره إلى النار بسبب هذه العقيدة.

وهكذا لو اعتقد بقلبه – ولو لم يتكلم – أن محمداً ﷺ ليس بصادق، أو أنه ليس بخاتم الأنبياء وأن بعده أنبياء، أو اعتقد أن مسيلمة الكذاب نبيٌّ صادق، فإنه يكون كافراً بهذه العقيدة.

أو اعتقد بقلبه أن نوحا، أو موسى، أو عيسى، أو غيرهم من الأنبياء عليهم السلام أنهم كاذبون أو أحداً منهم، هذه ردّة عن الإسلام.

أو اعتقد أنه لا بأس أن يدعى مع الله غيره؛ كالأنبياء أو غيرهم من الناس، أو الشمس والكواكب أو غيرها، إذا اعتقد بقلبه ذلك صار مرتداً عن الإسلام؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[الحج:٦٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة:١٦٣]، وقال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة:٥]، وقال: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣]، وقال سبحانه: ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[غافر:١٤]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فمن زعم أو اعتقد أنه يجوز أن يعبد مع الله غيره؛ من ملك، أو نبيٍّ، أو شجر، أو جنٍّ أو غير ذلك فهو كافر، وإذا نطق وقال بلسانه ذلك صار كافراً بالقول والعقيدة جميعاً، وإن فعل ذلك ودعا غير الله واستغاث بغير الله صار كافراً بالقول والعمل والعقيدة جميعاً، نسأل الله العافية من ذلك.

ومما يدخل في هذا: ما يفعله عُبَّاد القبور اليوم في كثير من الأمصار من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، وطلب المدد منهم، فيقول بعضهم: يا سيدي، المدد المدد، يا سيدي، الغوث الغوث، أنا بجوارك، اشف مريضي، ورُدَّ غائبي، وأصلح قلبي.

يخاطبون الأموات الذين يسمونهم: **الأولياء**، ويسألونهم هذا السؤال، نسوا الله وأشركوا معه غيره - تعالى الله عن ذلك- فهذا كفرٌ قوليٌّ وعقديٌّ وفعليٌّ.

وبعضهم ينادي من مكان بعيد وفي أمصار متباعدة: يا رسول الله، انصرني...ونحو هذا، وبعضهم يقول عند قبره: يا

رسول الله، اشف مريضي، يا رسول الله ، المدد المدد انصرنا على أعدائنا، أنت تعلم ما نحن فيه، انصرنا على أعدائنا.

والرسول ﷺ لا يعلم الغيب، إذا لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه، هذا من الشرك القوليّ والعملي، وإذا اعتقد مع ذلك أن هذا جائز، وأنه لا بأس به صار شركاً قولياً وفعليًا وعقدياً، نسأل الله العافية من ذلك.

وهذا واقع في دولٍ وبلدان كثيرة،وكان واقعاً في هذه البلاد، وكان واقعاً في الرياض والدرعية قبل قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فقد كانت لهم آلهة في الرياض والدرعية وغيرهما، أشجار تُعبد من دون الله وأناس يقال: إنهم من الأولياء يعبدونهم مع الله، وقبور تُعبد مع الله.

وكان قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه موجوداً في الجُبَيْلة حيث قُتل في حروب الردَّة أيام مسيلمة، كان قبره يُعبد من دون الله حتى هُدِم ذلك القبر، ونُسي اليوم والحمد لله، بأسباب دعوة

الشيخ محمد، قدّس الله روحه وجزاه عنّا وعن المسلمين أفضل الجزاء.

وقد كان في نجد والحجاز من الشرك العظيم والاعتقادات الباطلة، ودعوة غير الله ما لا يُعَدُّ ولا يُحصى، فلما جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، أي: قبل ما يزيد عن مائتي سنة، دعا إلى الله وأرشد الناس، فعاداه كثير من العلماء الجهلة وأهل الهوى؛ لكن الله أيَّده بعلماء الحق، وبآل سعود- رحم الله الجميع- فدعا إلى الله، وأرشد الناس إلى توحيد الله، وبيَّن لهم: أن عبادة الجن والأحجار والأولياء والصالحين وغيرهم شرك من عمل الجاهلية، وأنها أعمال أبي جهل وأمثاله من كفار قريش في عباداتهم اللاّت، والعزى، ومناة، وعبادة القبور، هذه هي أعمالهم.

فبَيَّن - رحمه الله – للناس وهَدَى الله على يديه مَن هَدَى، ثم عمَّت الدعوة بلاد نجد والحجاز وبقية الجزيرة العربية، وانتشر

فيها التوحيد والإيمان، وترك الناس الشرك بالله وعبادة القبور والأولياء بعد أن كانوا يعبدونها إلا من رحم الله، بل كان بعضهم يعبد أناساً مجانين لا عقول لهم، ويسمونهم: أولياء، وهذا من عظيم جهلهم الذي كانوا واقعين فيه.

ومنها: الردّة بالشك:

عرضنا للردّة التي تكون بالقول، والردَّة بالعمل والردة بالعقيدة، **أما الردَّة بالشك: فمثل الذي يقول: أنا لا أدري هل الله حق أم لا؟..أنا شاكٌّ.** هذا كافر كفرَ شكٍّ، أو قال: **أنا لا أعلم هل البعث حقٌّ أم لا؟** أو قال: **أنا لا أدري هل الجنة والنار حق أم لا؟ أنا لا أدري، أنا شاك.** فمثل هذا يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل كافراً لشكه فيما هو معلوم من الدِّين بالضرورة وبالنص والإجماع.

فالذي يشك في دينه ويقول: أنا لا أدري هل الله حق؟ أو هل الرسول حق؟ وهل هو صادق أم كاذب ؟ أو قال: لا أدري هل هو خاتم الرسل حق؟ وهل هو صادق أم كاذب؟ أو قال:

لا أدري هل هو خاتم النبيين؟ أو قال: لا أدري مسيلمة كاذب أم لا ؟ أو قال: ما أدري هل الأسود العنسي – الذي ادعى النبوة في اليمن – كاذب أم لا؟ هذه الشكوك كلُّها رِدَّةٌ عن الإسلام، يستتاب صاحبها ويبين له الحق، فإن تاب وإلاَّ قتل، ومثل لو قال: أشك في الصلاة هل هي واجبة أم لا ؟ أو الزكاة هل هي واجبة أم لا؟ وصيام رمضان هل هو واجب أم لا ؟ أو شك في الحج مع الاستطاعة هل هو واجب في العمر مرة أم لا؟ فهذه الشكوك كلها كفر أكبر يستتاب صاحبها، فإن تاب وآمن وإلا قتل؛ لقول النبي ﷺ: **«من بدَّل دينه فاقتلوه»**[1]، رواه البخاري في الصحيح.

فلا بدَّ من الإيمان بأن هذه الأمور – أعني: **الصلاة والزكاة** والصيام والحج – كلها حق وواجبة على المسلمين بشروطها الشرعية.

---

(١) سبق تخريجه.

هذا الذي تقدم هو القسم الأول من القوادح، وهو القسم الذي ينقض الإسلام ويبطله، ويكون صاحبه مرتداً يستتاب، فإن تاب وإلا قُتل.

أما النوع الثاني: فهو وجود القوادح دون الكفر، لكنها تضعف الإيمان وتنقصه، وتجعل صاحبها معرَّضاً للنار وغضب الله، لكن لا يكون صاحبها كافراً.

وأمثلة ذلك كثيرة منها: الزنا إذا آمن أنه حرام ولم يستحلَّه، بل يزني ويعلم أنه عاصٍ، هذا لا يكون كافراً وإنما يكون عاصياً، لكن إيمانه ناقص وهذه المعصية قدَحتْ في عقيدته لكن دون الكفر، فلو اعتقد أن الزنا حلال صار بذلك كافراً.

وهكذا لو قال: السرقة حلال، أو ما أشبه ذلك يكون كافراً؛ لأنه استحل ما حرّم الله.

وكذلك الغيبة والنميمة وعقوق الوالدين وأكل الربا وأشباه ذلك، كل هذه من القوادح في العقيدة المضعفة للدين والإيمان.

وهكذا البدع، وهي أشد من المعاصي، فالبدع في الدين تضعف الإيمان، ولا تكون ردَّة ما لم يوجد فيها شرك **ومن أمثلة ذلك**: بدعة البناء على القبور، كأن يبني على القبر مسجداً أو قبّة، فهذه بدعة تقدح في الدين وتضعف الإيمان، لكن إذا بناها وهو لا يعتقد جواز الكفر بالله، ولم يقترن بذلك دعاء الميّتين والاستغاثة بهم أو النذر لهم، بل ظن أنه بفعله هذا يحترمهم ويقدرهم، فهذا العمل حينئذ ليس كفراً، بل بدعة قادحة في الدين تضعف الإيمان وتنقصه، ووسيلة إلى الشرك.

ومن أمثلة البدع: بدعة الاحتفال بالمولد النبوي حيث يحتفل بعض الناس في الثاني عشر من ربيع الأول بمولد النبي ﷺ، فهذا العمل بدعة، لم يفعله النبي ﷺ ولا أصحابه ولا خلفاؤه الراشدون، ولم يفعلها أهل القرن الثاني ولا الثالث، بل هذه بدعة محدثة.

أو الاحتفال بمولد البدوي، أو عبد القادر الجيلاني، أو غيرهما.

فالاحتفال بالموالد بدعة من البدع، ومنكر من المنكرات التي تقدح في العقيدة؛ لأن الله ما أنزل بها من سلطان، وقد قال النبي ﷺ: **«وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»**[١]، رواه مسلم، وقال عليه الصلاة والسلام: «من أحدث في أمرنا هذا ما **ليس منه فهو رد**»[٢]، متفق على صحته، أي: فهو مردود عليه، وقال عليه الصلاة والسلام: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**[٣]، خرجه مسلم في صحيحه، وقال: **«إياكم ومحدثات الأمور، فإن كُلَّ محدثةٍ بدعة، وكُلَّ بدعةٍ ضلالة»**[٤]، فالبدع من القوادح في الدين التي دون الكفر، إذا لم يكن فيها كفر.

أما إذا كان في الاحتفال بالمولد دعوة الرسول ﷺ والاستغاثة به وطلبه النصر صار شركاً بالله، وكذا دعاؤهم: يا

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

رسول الله انصرنا، المدد المدد يا رسول الله.... الغوث الغوث، أو اعتقادهم أن الرسول ﷺ يعلم الغيب أو غيره، كاعتقاد بعض الشيعة في عليّ والحسن والحسين أنهم يعلمون الغيب، كل هذا شرك وردَّة عن الدين، سواء كان في المولد أو في غير المولد.

ومثل هذا قول بعض الرافضة: إن أئمتهم الاثني عشر يعلمون الغيب، وهذا كفر وضلال وردة عن الإسلام؛ **لقوله** تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[النمل:٦٥]، أما إذا كان الاحتفال بمجرد قراءة السِّيرة النبوية، وذكر ما جرى في مولده وغزواته، فهذا بدعة في الدِّين تنقصه ولكن لا تنقضه.

ومن البدع: ما يعتقده بعض الجهال في شهر صفر من أنه لا يسافر فيه، فيتشاءمون به، وهذا جهل وضلال، فقد قال النبي ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة**»[1]، متفق على

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب لا هامة، رقم (٥٧٥٧)؛ ومسلم: كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة، رقم (٢٢٢٠).

صحته، وزاد مسلم: «ولا نوء ولا غول»[١]؛ لأن اعتقاد العدوى والطيرة والتعلق بالأنواء، أو الغُول، كل هذه من أمور الجاهلية التي تقدح في الدين.

ومن زعم أن هناك عدوى فهذا باطل، ولكن الله جعل المخالطة لبعض المرضى قد تكون سبباً لوجود المرض في الصحيح، ولكن لا تُعدي بطبعها، ولَمَّا سمع بعض العرب قول النبي ﷺ: «لا عدوى..» قال: يا رسول الله، الإبل تكون في الرمال كأنها الظباء، فإذا دخلها الأجرب أجربها، قال ﷺ: «فمن أعدى الأول»[٢]، أي: من الذي أنزل الجرب في الأول.

فالأمر بيد الله سبحانه وتعالى إذا شاء أجربها بسبب هذا الجرب وإن شاء لم يُجْرِبْها، وقد قال ﷺ: «لا يوردنَّ مُمْرِضٌ على

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة، رقم (٢٢٢٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب لا صفر، رقم (٥٧١٧)؛ ومسلم: كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة، رقم (٢٢٢٠).

مُصِحٍّ»[(١)]، يعني: لا توردوا الإبل المريضة على الصحيحة، بل تكون هذه على حدة وهذه على حدة، وذلك من باب اتقاء الشر والبعد عن أسبابه، وإلا فالأمور بيد الله، لا يُعدي شيء بطبعه إنما هو بيد الله: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة:٥١].

فالخلطة من أسباب وجود المرض فلا تنبغي الخلطة، فالأجرب لا يخالط الصحيح، هكذا أمرنا الرسول ﷺ من باب الاتقاء والحذر من أسباب الشر، لكن ليس المعنى: أنه إذا خالط فإنه سيعدي، لا، قد يعدي وقد لا يعدي، والأمر بيد الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال ﷺ: **«فمن أعدى الأول»**.

ومن هذا الباب قوله ﷺ: **«فِرَّ من المجذوم فرارك من الأسد»**[(٢)]، والمقصود: أن تشاؤم أهل الجاهلية بالعدوى

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب لا هامة، رقم (٥٧٧١)؛ ومسلم: كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة، رقم (٢٢٢١).

(٢) أخرجه أحمد برقم (٩٤٢٩).

وبالتطير أو الهامة - وهي روح الميت، يقولون: إنها تكون كأنها طائر حول قبره يتشاءمون بها - وهذا باطل لا أصل له، وروح الميت مرتهنة بعمله إما في الجنة أو النار.

والطيرة والتشاؤم بالمرئيات والسمعيات من عمل الجاهلية، حيث كانوا يتشاءمون إذا رأوا شيئاً لا يناسبهم مثل الغراب، أو الحمار الأسود، أو مقطوع الذنب، أو ما أشبه ذلك، فيتشاءمون به، هذا من جهلهم وضلالهم، قال الله جل وعلا في الرد عليهم: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾[الأعراف:١٣١]، فالله بيده الضر والنفع، وبيده العطاء والمنع، والطيرة لا أصل لها، ولكنه شيء يجدونه في صدورهم و لا حقيقة له، بل هو شيء باطل، ولهذا قال ﷺ: «لا طيرة».

ولذا يجب على المسلم إذا رأى ما يتشاءم به ألاَّ يرجع عن حاجته، فلو خرج ليسافر، وصادفه حمار غير مناسب أو رجُلٌ غير مناسب أو ما أشبه ذلك، فلا يرجع، بل يمضي في حاجته

ويتوكل على الله، فإن رجع فهذه هي الطيرة، والطيرة قادحة في العقيدة ولكنها دون الشرك الأكبر، بل هي من الشرك الأصغر.

وهكذا سائر البدع، كلُّها من القوادح في العقيدة، لكنها دون الكفر، إن لم يصاحبها كفر.

فهذه البدع مثل: بدعة الموالد، والبناء على القبور، واتخاذ المساجد عليها، ومثل صلاة الرغائب هذه كلُّها بدع، والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج التي يجددونها بسبع وعشرين من رجب، هذه بدعة ليس لها أصل، وبعض الناس يحتفل بليلة النصف من شعبان ويعمل فيها أعمالاً يتقرب بها، وربما أحيا ليلها أو صام نهارها يزعم أن هذا قربة، فهذا لا أصل له، والأحاديث فيه غير صحيحة، بل هو من البدع.

والجامع في هذا: أن كل شيء من العبادات يحدثه الناس ولم يأمر به الرسول ﷺ ولم يفعله ولم يقرَّه فهو بدعة؛ لأن الرسول ﷺ قال: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»**[1]،

(١) سبق تخريجه.

وكان يقول في خطبة الجمعة: **«وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»**[(١)]، يُحَذِّر الناس من البدع ويدعوهم إلى لزوم السنة ﷺ.

فالواجب على أهل الإسلام أن يلزموا الإسلام ويستقيموا عليه، وفي هذا كفايتهم وكمالهم، فليسوا بحاجة إلى بدع، يقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، فالله أكمل الدين وأتمه بحمده وفضله، فليس الناس بحاجة إلى بدع يأتون بها، وقد قال النبي ﷺ: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»**[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٦٩٤)؛ وأبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧)؛ والترمذي: كتاب العلم، باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم (٢٦٧٦)؛ وابن ماجه: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم (٤٢).

فليس الناس بحاجة إلى بِدع زيد وعمرو، بل يجب التمسُّك بما شرعه الله، والسير على منهج الله، والوقوف عند حدوده، وترك ما أحدثه الناس، كما قال الله سبحانه وتعالى ذامًّا للبدع وأهلها: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾[الشورى:٢١].

وفق الله الجميع لما فيه الخير، وأصلح أحوال المسلمين، ووفقهم للفقه في دينه، وجنبهم أسباب الزَّيغ والضلال والانحراف، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فوائد مهمة تتعلق بالعقيدة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه فوائد تتعلق بالعقيدة:

الفائدة الأولى:

[الاعتقاد في النجوم والبروج وغيرها]:

جميع الاعتقادات في النجوم، والبروج والشهور، والأيام، والأماكن كلها باطلة إلا ما ثبت في الشرع المطهر.

ولا شك أن الاعتقادات في النجوم التي يتعاطاها الكهنة، والمنجمون، والسحرة، والرَّمَّالون وغيرهم كلها اعتقادات موروثة عن الجاهلية، والكفرة من العرب والعجم، وعُبَّاد النجوم، ومن عُبَّاد الأوثان والأصنام، ومن غيرهم، فإن

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: (٨/ ١٢٠-١٤٣).

الشياطين من الإنس والجن يُدخِلون على الناس اعتقادات فاسدة إذا رأت قلوبهم خالية من العلم النافع و البصيرة النافذة، والإيمان الصادق، فإنها تدس عليهم علوماً فاسدة، واعتقادات خاطئة، فيتقبل أولئك هذه الاعتقادات الفاسدة، وهذه الأعمال السيئة؛ لأن لديهم قلوباً فارغة ليس فيها حصانة، وليس عندهم علم يردها ويدفعها، كما قال الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلباً خالياً فتمكنا

فإن القلوب الخالية من العلوم النافعة تتقبل كل شيء، ويعلق بها كل باطل إلا من رحم الله، **فإذا انتشرت العلوم** النافعة في البلد أو في القبيلة أو في الدولة، **وكثر علماء الخير** والهدى والصلاح، وانتشرت العلوم التي جاء بها **كتاب الله** وسنة رسول الله ﷺ طفئت نار **هؤلاء الشياطين، وخمدت** حركاتهم، وانتقلوا إلى مكان آخر يجدون فيه الفرصة لنشر ما

عندهم من الباطل، وهذا هو الواقع في كل زمان ومكان، كلما غلب الجهل كثرت الاعتقادات الفاسدة، والأعمال الضارة المخالفة لشرع الله عز وجل.

وكلَّما انتشر العلم الشرعي بين الناس في أي مكان، أو في أي قرية ارتحل عنها الجهل والبلاء، وارتحل عنها من يدعو إلى الاعتقادات الفاسدة والظنون الباطلة، والأعمال الشركية...إلى غير ذلك.

وبهذا يعلم أن الناس في أشد الضرورة والحاجة إلى العلم النافع؛ العلم بالله عز وجل، وبشرعه وبدينه وبكتابه وبسنة نبيه ﷺ، **وأن التعلق بالنجوم والبروج وغيرهما من المخلوقات أقسام:**

منها: ما هو كفر أكبر بلا شبهة، ولا خلاف بين أهل العلم، وهو: أن يعتقد أن هذه النجوم والبروج - وهي اثنا عشر برجاً - أو الشمس، أو القمر، أو أحداً من الناس أن له

التصرف في الكون، أو أنه يدبر بعض الكون فهذا شرك أكبر، وكفر أعظم، نسأل الله العافية؛ لأن الله عز وجل مصرِّف الكائنات، ومدبر الأمور، لا مدبِّر سواه عز وجل، ولا خالق غيره، كما قال سبحانه وتعالى في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقال في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[يونس:٣].

فهو سبحانه وتعالى مدبر الأمور ومصرف الكائنات وليس معه شريك في ذلك، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل ، ولا ولي، ولا غير ذلك، ومن زعم أن لله تعالى شريكاً في تدبير الأمور العلوية أو السفلية فقد كفر إجماعاً.

فهو سبحانه الواحد الأحد، الخالق الرازق، ليس له شريك في تدبير الأمور، ولا في خلق الأشياء، ولا شريك له في العبادة، وهو المتصرف في عباده سبحانه وتعالى كيف يشاء، كما أنه ليس له شريك في أسمائه ولا في صفاته، وله الكمال المطلق في أسمائه الحسنى وصفاته العليا جلَّ وعلا، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:١- ٤]، وقال سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البقرة:١٦٣]، وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

الفائدة الثانية:

[ضلال من يعتقد في النجوم والأبراج وغيرها]:

كل من يعتقد أن لبعض النجوم تأثيراً في الحوادث والأحوال الفلكية من سير النجوم، والشمس والقمر، وأن لها تأثيراً في هذه المخلوقات؛ في تدبيرها وتصريف شئونها، وأن

هذه المخلوقات لها تصرف في الكون بإذن الله ويزعم أن هذا التصرف بإذن الله، وأنها تدبر كذا وتدبر كذا، وهذا أيضاً باطل وكفر وضلال.

كما يعتقد هذا عبَّاد القبور، فإن عُبَّاد القبور، وعبَّاد المشايخ، وعبَّاد الصالحين، وعبَّاد الأصنام يعتقدون: **أن الله جعل لها شيئاً من التصرف في خلقه، وأن لبعض الأولياء تصرفاً في الكون يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، وهذا باطل أيضاً**، وجهل وكفر وضلال - **نسأل الله العافية - بل التصرف لله وحده**، وإنما جعل للعباد أشياء محدودة **كإعطاء الله عز وجل الرجل ما يعينه على أسباب الرزق؛ كاليد والعقل والسمع**، والبصر، **وإعطائه ما يعينه على أسباب النسل والذرية؛ من النكاح**، وجعل فيه الشهوة والميل إلى النساء، **وجعل للشمس أشياء محدودة من طبعها بسبب حرارتها، ولها آثار في النباتات**، هذه الأشياء كلها من خلق الله سبحانه؛ **كطبيعة القمر جعله الله تعالى سراجاً منيراً، ويعرف به عدد الشهور والأعوام والحساب إلى غير ذلك، وكطبيعة الماء، وطبيعة النار وغيرهما.**

كل مخلوق جعل الله له طبيعة تخصه ليست متعلقة بالكائنات كلها، أما من ظن أن لبعض المخلوقات تصرفاً في الكائنات، أو أن لها تدبيراً في الكائنات؛ من صنم ، أو ولي، أو نبي أو نجم، أو غير ذلك فهذا كفر وضلال نسأل الله العافية.

الفائدة الثالثة: تتعلق بعمل التسيير لا التأثير:

فالتسيير للنجوم والكواكب يستدل به على: أوقات البذر، وأوقات غرس الأشجار، والاستدلال على: جهة القبلة، وعلى دخول أوقات الصلاة، وعلى شبه ذلك، وتمييز الفصول بعضها من بعض، وتمييز الأوقات بعضها من بعض، وهذا يسمى بـ: علم التسيير ولا بأس به، وهو معروف، فإن الله جعل لكل شيء وقتاً مناسباً، وجعل سير الشمس والقمر والنجوم من الدلائل على هذه الأوقات التي يحتاج العباد إلى معرفة خصائصها، وما ينتفع به فيها، كما يستدل بالنجوم أيضاً على البلدان، وعلى مواضع المياه التي يحتاجها الناس ويريدونها...إلى غير ذلك، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ

لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٩٧]، وقال سبحانه: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦]، فالله جعل لهذه النجوم في سيرها - خصوصاً النجوم المعروفة والنجوم الثابتة - عملاً يستدل بها على أشياء كثيرة من أماكن البلاد وجهاتها، وجهة القبلة، وما أشبه ذلك حتى يُهْتَدى بها، ويُسَار على ضوئها في تلك الأماكن الخافية، كل ذلك جعله سبحانه لمصلحة العباد.

ومن هذا الباب ما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ لما خطب الناس في يوم مطير، قال لهم عليه الصلاة والسلام: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر؛ فأما من قال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، رقم (٨٤٦)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، رقم(٧١).

فهذا الذي يظن أو يعتقد. أن المطر من الكواكب، وأن لها تأثيراً فيه، فهذا هو الذي أنكره الله عز وجل، وبيّن الرسول ﷺ إنكاره، فإذا قال: مُطرنا بنوء كذا، أو بنجم كذا، هو كافر بالله مؤمن بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بالله كافر بالكوكب.

فتبين أن الكواكب ليس لها تأثير في المطر ولا في النبات، بل الله سبحانه وتعالى هو الذي ينزل المطر، ويخرج النبات وينفع عباده بها يشاء، وإنها جعل الله عز وجل غيابها وطلوعها علاماتٍ يُهتدى بها في البر والبحر، وسبباً لصلاح بعض النبات ونموه، فإن الله تعالى جعل بعض المخلوقات سبباً لبعض المخلوقات الأخرى، وهو الخالق للجميع، أما إذا أراد القائل بقوله: مطرنا بنوء كذا، بأنه وقت وظرف المطر الذي نزل فيه بإذن الله، مثل أن يقول: نزول المطر في وقت الثريا، في وقت الوسمي، ينبت به بإذن الله كذا وكذا فيخبر بالأوقات التي جرت العادة بوجود هذه الأشياء فيها، فهذا لا بأس به، لكن

يجب أن يأتي بـ (في) الدالة على الظرفية فيقول: مُطرنا في الربيع، في الشتاء، في وقت ظهور النجم الفلاني، وما أشبه ذلك من باب الخبر عن الأوقات، ولا يجوز أن يقول: مُطرنا بنوء كذا ؛ لإنكار الله سبحانه ذلك، وحكمه على قائله بأنه كافر به، ولأن ذلك يوهم أن المطر منها، فلهذا جاء الحديث الصحيح بالنهي عن ذلك.

ولهذا فرّق أهل العلم بين مُطرنا بنوء كذا، وبين مُطرنا في كذا وكذا في وقت النجم الفلاني من باب الخبر عن الأوقات التي جرى فيها نزول المطر، أو جرى فيها النبات الفلاني أو الثمرة الفلانية التي جرت العادة أنها توجد في أوقات معينة، فهذا لا بأس به كما تقدم، وبه يُعلم بين الجائز و المحرم. والله ولي التوفيق.

الفائدة الرابعة: [الموقف من السحر والسحرة].

تتعلق بالسحر والسحرة: فنقول: لا شك أن تصديق السحرة والمنجمين والرَّمَّالين ونحوهم وسؤالهم لا يجوز، لأنهم

يدّعون علم الغيب بأشياء يتخذونها ويلبّسون بها على الناس، من الخط في الأرض، أو ضرب الحصى، أو قراءة الكف، أو السؤال عن برج فلان وفلان، وأنه سيموت له كذا وكذا، أو يذكرون له اسم أمه وأبيه، وأنه إذا كان في وقت كذا كان كذا، وكل هذا باطل، وهو من أعمال المنجمين والسحرة والكهان والمشعوذين، **فلا يجوز تصديقهم ولا سؤالهم**؛ لأن الرسول ﷺ نهى عن سؤالهم وتصديقهم، فقد ثبت أن معاوية بن الحكم جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن عندنا كهاناً، قال: «**لا تأتوهم**» قال: وإنَّ منَّا أناساً يتطيرون، قال: «**ذلك شيء يجده أحدكم في صدره فلا يصدنكم**»[1]، وقال ﷺ: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»[2]، خرجه مسلم

(١) أخرجه أحمد (٢٣٢٥٠)؛ ومسلم: كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة، رقم (١٢١٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب تحريم الكهانة، وإتيان الكهان، رقم (٢٢٣٠).

في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ، وقال ﷺ: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»[1]، وقال ﷺ: «**الطيرة شرك**»[2]، قالها: ثلاثاً.

فبيَّن عليه الصلاة والسلام أن هذه الأمور من أعمال الجاهلية التي يجب اجتنابها وطرحها والحذر منها، **وأن لا يؤتى** أهلها و لا يسألوا ولا يصدقوا؛ لأن إتيانهم **وسؤالهم فيه رفع** لشأنهم، **وبسبب** شيوع أمرهم في البلاد، **وتصديق الناس لهم** فيما يقولون من الأمور الباطلة التي لا أساس لها، **وبسبب** بعضها وقوع الشرك، وأنواعاً من الباطل والمنكرات، **وقد أخبر** ﷺ: أن الشياطين تسترق السمع من السماء، **فيسمعون الكلمة**

---

(١) أخرجه أحمد (٩٠٣٥)؛ والترمذي: كتاب الطهارة، **باب ماجاء في كراهية** إتيان الحائض، رقم (١٣٥)؛ وابن ماجه: كتاب **الطهارة وسننها، باب** النهي عن إتيان الحائض، رقم (٦٣٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٧٩)؛ وأبو داود: كتاب الطب، **باب في الطيرة، رقم** (٣٩١٠)؛ وابن ماجه: كتاب الطب، **باب من كان يعجبه الفأل، رقم** (٣٥٣٨).

من السماء مما تتحدث به الملائكة فيكذبون معها مائة كذبة، **فيصدقهم الناس بكذبهم؛ بسبب تلك الكلمة التي استرقوها**[1].

فيجب على ولاة الأمور الإنكار عليهم، وعقابهم بما **يستحقون شرعاً، وأعظم من ذلك من ادعى علم الغيب فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قُتل كافراً ولا يُغسل، ولا يُصلَّى عليه، ولا يُدفَن في مقابر المسلمين؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه، كما قال عز وجل: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾** [النمل:٦٥]، **ولما سأل جبريل النبي ﷺ عن الساعة، قال: «ما المسؤول بأعلم من السائل!»**[2].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾، رقم (٤٧٠١)؛ ومسلم: كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم (٢٢٢٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ، رقم (٥٠)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٨).

والمعنى: أني لا أعلمها أنا ولا أنت، قال سبحانه في سورة الأعراف: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧) قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:١٨٧ - ١٨٨]، الآية.

وقال سبحانه في سورة النمل: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[النمل:٦٥]، وقال سبحانه في سورة النازعات: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾[النازعات:٤٢ - ٤٤]، والآيات في هذا المعنى كثيرة،

وهكذا السحرة يدّعون علم الغيب ومن شأنهم التلبيس على الناس، فالواجب قتلهم من غير استتابة على الصحيح.

وقد وُجد في عهد عمر رضي الله عنه ثلاثة من السحرة، وسُئل عنهم، فأمر بقتلهم جميعاً؛ لأن السحرة ضررهم عظيم مع دعواهم علم الغيب، فيضرون الناس كثيراً.

ومن أعمالهم الخبيثة: الصرف، والعطف، والتفريق بين الزوجين والأقارب، بما يفعلون من أعمال السحر وأنواعه الذي يضر الجميع، ويبغِّض هذا لهذا وهذا لهذا، مما يتلقونه من الجن والشياطين ويخدمونهم به، فالجن تخدم الإنس، والإنس تخدم الجن؛ فالجن تخدم الإنس بإخبارهم ببعض الحوادث في البلدان القريبة والبعيدة، وتعينهم على ظلم الناس، والإنس تخدم الجن بعبادتهم من دون الله ودعائهم والنذر لهم والذبح لهم ونحو ذلك.

وهذا هو استمتاع بعضهم ببعض المذكور في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

فعلى **ولاة الأمور**؛ من الأمراء والعلماء أن يمنعوا الشرور التي تقع في بعض البلدان من السحرة والمنجمين والكهنة، **وأن** يجعل في الناس من يسأل عنهم حتى يقضى عليهم، فالذي يستحق القتل يُقتل، والذي يستحق الحبس يُحبس، حتى يسلم الناس من شرهم، ولا يجوز التستر عليهم؛ **لما يتعلق بوجودهم** من الخطر العظيم والشر الكثير، وقد **يعالج بعضهم الناس** بالطب العربي وهو يكذب عليهم؛ **ليعالجهم بالشعوذة وخدمة** الجن، وعبادة الجن من دون الله **فينجح مرة ويفشل مائة مرة**، وهذا كله من **التدليس والتلبيس** على الناس **وإدخال الشر** عليهم، فبعضهم يقول: هات اسم **أمك، هات كذا هات كذا**، وأنا أعرف مرضك وأعطيك الدواء المناسب، **فيأخذون** الأموال الكثيرة ثم لا يفيدونهم بشيء، **ولو أفادوهم لم يكن** ذلك **مسوغاً للمجيء إليهم وسؤالهم و لا تصديقهم**، **فالشيطان قد يعرف دواء المرض لكن خطره وشره أخطر وأعظم**.

فالحاصل: أن الاستفادة منهم في بعض الأحيان لا تسوغ المجيء إليهم ولا سؤالهم، ولو زعم بعض الناس أنهم يفيدونهم وأنهم يعالجون المرض بالطب الشعبي ما داموا قد عرفوا أنهم كهان أو سحرة أو مشعوذون، فقد قال الرسول ﷺ: **«ليس منَّا من تَطَيَّر أو تُطُيِّرَ له، أو تكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحر له»**(1).

وقد حذر الرسول ﷺ من هؤلاء، وكانوا موجودين في الجاهلية، فقد كان أهل الجاهلية يتحاكمون إليهم ويسألونهم عن علم الغيب؛ لجهلهم وضلالهم، وقد أغنى الله تعالى المسلمين عن ذلك بما شرع الله لهم من الأحكام وبما أباح لهم من الرقية الشرعية، والأدعية والأدوية المباحة، وقد بيَّن كتاب الله سبحانه وسنة نبيه ﷺ ذلك، وجعل الله لهم الشرع حاكماً بين الناس يرجعون إليه في كل شيء، فلا حاجة لهم إلى الكهنة، ولا

(1) مسند البزار (٩/ ٥٢).

إلى المشعوذين والعرافين والسحرة الذين يتعلمون أشياء يضرون بها الناس، ويفرِّقون بها بين المرء وزوجه، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله جل وعلا، كما قال سبحانه: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[البقرة:١٠٢].

فهذه الأشياء السحرية قد تقع، لكن بإذن الله ومشيئته سبحانه وتعالى، لا يقع في ملكه ما لا يريد جل وعلا، وإن كانت هذه الأشياء تجري بمشيئة الله وقدره، فيجب أن نعالج قدر الله بقدره، ويجب أن نحارب كل الشرك والمعاصي، مع العلم بأنه لا يقع شيء منها إلا بمشيئته جل وعلا؛ ولكنه سبحانه شرع لنا أن نحاربها، وأن نمتنع منها، وأن تقام فيها الحدود الشرعية.

فالواجب على العلماء وولاة الأمور أن يحاربوا ما حرَّم الله ورسوله بما شرع الله من إقامة الحدود والتعزيرات بما يقضي على وجود المنكرات والكفر والضلال.

وهكذا الطيرة: مثل أن يتطير الإنسان من طائر، أو حمار، أو شهر كصفر وغيره، أو يوم كيوم الأربعاء وغيره أو من إنسان، **والطيرة: هي التي تردك عن حاجتك، وهي من الشرك الأصغر، فيجب الحذر من ذلك.**

وهكذا إذا تشاءم الإنسان من طائر ينعق كالغراب، أو من البومة، فإذا رآها ذلك اليوم قال: لا أسافر، أو إذا نزلت في بيته تشاءم وظن أنه سيحدث سوء في البيت، وهذا من عمل الجاهلية، ولهذا قال النبي ﷺ: **«إذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»**[1]، وفي لفظ آخر: **«اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»**[2].

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب في الطيرة، رقم (٣٩١٩).

(٢) أحمد (٧٠٠٥).

فالمسلم يعتصم بالله ويتوكل عليه، ويعمل بالأسباب الشرعية ولا يتأثر بهذه الأشياء، ولا يتعلق بها، ولا ترده عن حاجته، فإذا ردته عن حاجته وقع في الشرك وشابه أهل الجاهلية، بل على المسلم أن يتوكل على الله عز وجل.

والتوكل على الله عز وجل يتضمن أمرين:

أحدهما: الاعتماد على الله تعالى، والإيمان بأنه لا يقع شيء في الوجود إلا بمشيئته وقدره.

الثاني: الأخذ بالأسباب الشرعية والمباحة في علاج ما ينزل به من الحوادث فيجمع بين الأمرين: **الإيمان بالقدر، وفعل الأسباب.**

فالمسلم يعلم أن المرض بإذن الله سبحانه وتعالى، ولكن يعالجه بالأسباب الشرعية والأدوية المباحة، كما يعالج الظمأ بالشرب، ويعالج الجوع بالأكل، ويعالج الخوف بأسباب الأمن، ويعالج أخطار السرقة بإغلاق بابه، وما أشبه ذلك.

وكذلك في البرد يستدفئ بالنار وبالملابس، وهو مع هذا يؤمن بأن كل شيء بيد الله جل وعلا؛ ولهذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، و لا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، لكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل، فإن "لو" تفتح عمل الشيطان**»[1]، أخرجه مسلم في الصحيح.

فالمسلم يعالج مريضه ويأخذ بالأسباب، فإذا مات له ميت احتسب وقال: «**إنا لله وإنا إليه راجعون قدر الله وما شاء فعل**»، ولا يقول: لو أني سافرت إلى بلاد كذا لكان كذا، وكذلك عليه أن يبيع ويشتري ويأخذ بالأسباب فإذا خسر فليقل: «**إنا لله وإنا إليه راجعون، قدر الله وما شاء فعل**»، ولا يقول: لو أني بعت هذه البضاعة في مكان كذا لكان كذا، انتهى الأمر. وما كتبه الله قد وقع فلا اعتراض على قدر الله ، ولكن الأخذ بالأسباب

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، رقم (٢٦٦٤).

مشروع، فانظر وتأمل إذا كان البيع والشراء في المحل الفلاني أحسن فاعمل بذلك أولاً، وأما بعد وقوع الحادث أو الخسارة في البيع فقل: قدر الله وما شاء فعل ودَعْ كلمة «لو» فإنها تفتح عمل الشيطان، كما قال النبي ﷺ[1].

والله ولي التوفيق. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

الفائدة الخامسة:

بيان وجوب تطبيق السنة المطهرة ومكانتها في الإسلام:

لا شك أن السنة المطهرة هي الأصل الثاني من أصول الإسلام، وأن مكانتها في الإسلام الصدارة بعد كتاب الله بإجماع أهل العلم قاطبة، وهي حجة قائمة مستقلة على جميع الأمة، من جحدها أو أنكرها أو زعم أنه يجوز الإعراض عنها والاكتفاء

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة، رقم(٢٦٦٤).

بالقرآن فقط فقد ضل ضلالاً بعيداً، وكفر كفراً أكبر، وارتد عن الإسلام بهذا المقال، فإنه بهذا المقال وبهذا الاعتقاد يكون قد كذَّب الله ورسوله، وأنكر ما أمر الله به ورسوله، وجحد أصلاً عظيماً من أصول الإسلام قد أمر الله بالرجوع إليه، والاعتماد عليه، والأخذ به، وأنكر إجماع أهل العلم وكذب به وجحده.

وقد أجمع علماء الإسلام على أن الأصول المجمع عليها ثلاثة:

الأصل الأول: كتاب الله.

والأصل الثاني: سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

والأصل الثالث: إجماع أهل العلم.

وتنازع أهل العلم في أمور أخرى أهمها: القياس، والجمهور على أنه أصل رابع إذا استوفى شروطه المعتبرة.

أما السنة: فلا نزاع ولا خلاف على أنها أصل مستقل، وأنها هي الأصل الثاني من أصول الإسلام، وأن الواجب على جميع المسلمين، بل على جميع الأمة: الأخذ بها، والاعتماد عليها،

والاحتجاج بها إذا صح السند عن رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وقد دل على هذا المعنى آيات كثيرات، وأحاديث صحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، كما دل على هذا المعنى إجماع أهل العلم قاطبة على وجوب الأخذ بها، والإنكار على من أعرض عنها أو خالفها، وقد نبغت نابغة في صدر الإسلام أنكرت السنة: وهم الخوارج، فإن الخوارج كَفَّروا كثيراً من الصحابة وغيرهم، وصاروا لا يعتمدون بزعمهم إلا على كتاب الله عز وجل؛ لسوء ظنهم بأصحاب رسول الله ﷺ، وتابعتهم الرافضة فقالوا: لا حجة إلا فيما جاء عن طريق أهل البيت فقط، وما سوى ذلك لا حجة فيه.

ونبغت نابغة بعد ذلك - ولا يزال هذا القول يذكر ما بين وقت وآخر - وتسمى هذه النابغة الأخيرة: (القرامطة)، ويزعمون أنهم أهل القرآن، وأنهم يحتجون بالقرآن فقط وأن

السنة لا يحتج بها؛ لأنها إنما كتبت بعد النبي ﷺ بمدة طويلة، ولأن الإنسان قد ينسى وقد يغلط، ولأن الكتب قد يقع فيها الغلط...إلى غير ذلك مما قالوه من الترهات والخرافات، والآراء الفاسدة، وزعموا أنهم بذلك يحتاطون لدينهم فلا يأخذون إلا بالقرآن فقط، وقد ضلوا عن سواء السبيل، وكذبوا وكفروا بذلك كفراً بواحاً، فإن الله عز وجل أمر بطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام، واتباع ما جاء به ولو كان رسوله ﷺ لا يُتبع ولا يُطاع لم يكن للأوامر قيمة.

وقد أمَر أن تبلّغ سنته، وكان إذا خطب أمَر أن تُبلّغ سنته، فدل ذلك: على أن سنته ﷺ واجبة الاتباع، وأن طاعته واجبة على جميع الأمة كما تجب طاعة الله عز وجل، ومن تدبر القرآن العظيم وجد ذلك واضحاً، قال تعالى في كتابه الكريم في سورة آل عمران: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[آل عمران:١٣١- ١٣٢]، فقرن

طاعة الرسول بطاعته، ثم علق الرحمة بطاعة الله ورسوله، وقال في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، فأمر بطاعة الله وطاعة رسوله، وكرر الفعل في ذلك، وأمر بطاعة أولي الأمر إذا كان ما أمروا به لا يخالف أمر الله ورسوله، ثم نبَّه أن العمدة في ذلك على طاعة الله ورسوله، فقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩]، ولم يقل: إلى أولي الأمر منكم، فدل ذلك: على أن الرد في مسائل النزاع والخلاف إنما يكون لله ورسوله.

قال العلماء: معنى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى كتاب الله. ومعنى الرد إلى الرسول: أي إلى الرسول في حياته، ولسنته بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، فعلم بذلك: أن سنته مستقلة، وأنها أصل مستقل من أصول الإسلام، وقال جل وعلا: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ

فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء:٨٠]، وقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ... ﴾[الأعراف:١٥٧]، إلى أن قال سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الأعراف:١٥٧]، فجعل الفلاح لمن اتبعه عليه الصلاة والسلام دون غيره، فدل ذلك على أن من أنكر سنته ولم يتبعه عليه الصلاة والسلام فإنه ليس بمفلح وليس من المفلحين، ثم قال بعدها: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:٥٨]، فجعل الهداية باتباعه عليه الصلاة والسلام.

وقال عز وجل في آية أخرى من سورة النور: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[النور:٥٤]، وقال

في سورة النور أيضاً: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور:٥٦]، وقال في آخر سورة النور: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، وقال جل وعلا في سورة آل عمران: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وبذلك يعلم أن المخالف لأمر النبي ﷺ على خطر عظيم من أن تصيبه فتنة بالزيغ والشرك والضلال أو عذاب أليم وقال عز وجل في سورة الحشر: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧].

وهذه الآيات وما جاء في معناها كلها دالة على وجوب اتباعه وطاعته عليه الصلاة والسلام، وأن الهداية والرحمة والسعادة والعاقبة الحميدة كلها باتباعه وطاعته عليه الصلاة

والسلام، فمن أنكر السنة فقد أنكر كتاب الله ، ومن قال: إنه اتبع كتاب الله من دون السنة فقد كذب وغلط وكفر؛ لأن القرآن أمر باتباع النبي ﷺ، فمن لم يتبعه فإنه لم يعمل بكتاب الله ولم يؤمن بكتاب الله، إذ كتاب الله أمر بطاعة الرسول ﷺ وأمر باتباعه وحذر من مخالفته فمن زعم أنه يأخذ بالقرآن، ويتبع القرآن دون السنة فقد كذب؛ لأن السنة جزء من القرآن، فطاعة الرسول ﷺ جزء من القرآن، ودلَّ على الأخذ بها القرآن، وأمر بالأخذ بها القرآن، فلا يمكن أن ينفك هذا عن هذا، ولا يمكن أن يكون الإنسان متبعاً للقرآن بدون اتباع السنة، ولا يكون متبعاً للسنة دون اتباع القرآن، فهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر.

ومما جاء في السنة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ما رواه الشيخان في الصحيحين، من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى**

الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني»[(١)].

وفي صحيح البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قيل يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[(٢)]، وهذا واضح في أن من عصى الرسول فقد عصى الله، ومن عصى الله فقد أبى دخول الجنة.

وفي سنن أبي داود، وصحيح الحاكم بإسناد جيد، عن المقدام بن معدي كرب الكندي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام، رقم (٢٩٥٧)؛ ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، رقم (١٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم (٧٢٨٠).

قال: «ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه»[1]، المراد بالكتاب: هو القرآن ومثله معه: أي: السنة - الوحي الثاني - «ألا يوشك رجل شبعان متكئاً على أريكته يُحَدَّث بحديث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله ما وجدنا فيه من حلال حَلَّلناه، وما وجدنا فيه من حرام حرَّمناه»[2]، وفي لفظ: «يوشك رجل شبعان على أريكته يحدَّث بالأمر من أمري مما أمرت به ونهيت عنه فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله ما وجدنا فيه اتبعناه، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

فالواجب على جميع الأمة أن تعظم سنة رسول الله ﷺ، وأن تعرف قدرها، وأن تأخذ بها، وتسير عليها، فهي الشارحة

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٧٢٢)؛ وأبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٧٢٢)؛ وأبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٤).

والمفسرة لكتاب الله عز وجل، والدالة على ما قد يخفى من كتاب الله، والمقيدة لما قد يطلق من كتاب الله، المخصصة لما قد يعم من كتاب الله، ومن تدبر كتاب الله وتدبَّر السنة عرف ذلك؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤]، فهو المبين للناس ما نُزِّل عليهم- عليه الصلاة والسلام - فإذا كانت سنته غير معتبرة ولا يحتج بها فكيف يُبَيَّن للناس دينهم وكتاب ربهم؟! هذا من أبطل الباطل.

فعُلم بذلك أنه ﷺ هو المبين لكتاب الله ، كما قاله الله، وأنه المفسر لما قد يخفى من كتاب الله وقال سبحانه في سورة النحل: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[النحل:٦٤]، فبين جل وعلا أنه أنزل الكتاب عليه؛ ليبين للناس ما اختلفوا فيه، فإذا كانت سنته لا تبين للناس ولا يحتج بها بطل هذا المعنى، فهو سبحانه وتعالى

يبين أنه هو الذي يبين للناس ما نزل إليهم، ويفصل النزاع بين الناس فيما اختلفوا فيه، فدل ذلك على أن سنته لازمة الإتباع وواجبة الاتباع، وليس هذا خاصاً بأهل زمانه وصحابته رضي الله عنهم، بل هو لهم ولمن يجيء بعدهم إلى يوم القيامة فإن الشريعة شريعة لزمانه ولمن بعد زمانه إلى يوم القيامة، فهو رسول الله إلى الناس عامة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[سبأ:٢٨].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:١٥٨]، فهو رسول الله إلى جميع العالم: الجن والإنس، العرب والعجم، الأسود والأبيض، الغني والفقير، الحكام والمحكومين إلى يوم القيامة، ليس بعده نبي، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. فوجب أن تكون سنته موضحة لكتاب الله، وشارحة لكتاب الله، ودالة على ما قد يخفى من كتاب الله.

وسنته جاءت بأحكام لم يأت بها كتاب الله، جاءت بأحكام مستقلة شرعها الله عز وجل لم تذكر في كتاب الله عز وجل، من ذلك تفصيل الصلوات والزكاة، وتفصيل أحكام الزكاة، وتفصيل أحكام الرضاع، فليس في كتاب الله إلا عن الأمهات والأخوات من الرضاع، وجاءت السنة ببقية المحرمات بالرضاع، فقال الرسول ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»[1].

وجاءت السنة بحكم مستقل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، وجاءته بأحكام أخرى مستقلة لم تذكر في كتاب الله في أشياء كثيرة: في الجنايات، والديات، والنفقات، وأحكام الزكاة والحج...إلى غير ذلك، ولما قال بعض الناس في مجلس عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه:

---

(١) أخرج البخاري: كتاب الشهادات، باب الشهادة على الأنساب والرضاع، رقم (٢٦٤٥).

دعنا من الحديث وحدِّثنا عن كتاب الله، غضب عمران رضي الله عنه وقال: (لولا السنة كيف نعرف أن الظهر أربع والعصر أربع والمغرب ثلاث والعشاء أربع والفجر ركعتان؟!).

فالسنة بينت تفاصيل الصلاة، وتفاصيل الأحكام، ولم يزل الصحابة رضي الله عنهم يرجعون إلى السنة ويتحاكمون إليها، ويحتجون بها، ولما ارتد من ارتد من العرب قام الصديق رضي الله عنه فدعا إلى جهادهم، توقف عمر في ذلك وقال: كيف نقاتلهم! وقد قال النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»[1]، قال الصديق رضي الله عنه: أليست الزكاة من حقها! – من حق لا إله إلا الله – والله لو منعوني عناقاً – أو قال: عقالاً – كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه، فقال

(١) أخرجه البخاري: كتب استتابة المرتدين والمعاندين، باب قتل من أبى قبول الفرائض، رقم (٦٩٢٤)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، رقم (٢٠).

عمر: فما هو إلا أن عرفت أن الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق، ثم وافق المسلمون ووافق الصحابة كلهم، واجتمع رأيهم على قتال المرتدين بأمر الله ورسوله.

ولما جاءت الجدَّة إلى الصديق رضي الله عنه تسأل، قال: ما أعلم لك شيئاً في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ، ولكن سوف أسأل الناس، فسأل الناس، فاجتمع رأيهم أن رسول الله ﷺ قضى لها بالسدس عند عدم الأم، فقضى لها بالسدس رضي الله عنه وأرضاه[1].

وهكذا عثمان رضي الله عنه أيضاً، لما أشكل عليه حكم المعتدة من الوفاة هل تكون في بيت زوجها أو تنتقل إلى أهلها؟ فشهدت عنده فريعة بنت مالك أخت أبي سعيد، أن رسول الله ﷺ أمرها أن تعتد في بيتها، فقضى بذلك عثمان[2].

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٥١٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٥٤٧).

ولما سمع ابن عباس بعض الناس ينكر عليه الفتوى بالمتعة: أي متعة الحج، ويحتج عليه بقول أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنهما يريان إفراد الحج، قال: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر[1].

ولما ذكر للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى جماعة يتركون الحديث ويذهبون إلى رأي سفيان الثوري، ويسألونه عما لديه وعما يقول، قال: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته عن رسول الله يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، ولما ذكر عند أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه رجل يدعو إلى القرآن وإلى ترك السنة، قال: (دعوه فإنه ضال).

والمقصود: أن السلف الصالح عرفوا هذا الأمر ونبغت عندهم نوابغ؛ بسبب الخوارج في هذا الباب، فاشتد إنكارهم

---

(١) أخرجه أحمد (٣١١١).

عليهم، وضللوهم، مع أنه إنكار له شبهة بالنسبة إلى الخوارج وما اعتقدوه في بعض الصحابة رضي الله عنهم.

أما هؤلاء المتأخرون المنكرون للسنة فقد أتوا منكراً عظيماً وبلاءً كبيراً، ومعصيةً عظيمة، حيث قالوا: إن السنة لا يحتج بها، وطعنوا فيها وفي رواتها وفي كتبها، وسار على هذا المنهج وأعلنه كثير من الناس في مصر وفي غيرها، وسموا أنفسهم: بالقرآنيين، وقد جهلوا ما قاله علماء السنة، فقد احتاطوا كثيراً للسنة تلقوها أولاً عن الصحابة حفظاً ودرسوها وحفظوها حفظاً كاملاً، حفظاً دقيقاً بعناية تامة، ونقلوها إلى من بعدهم.

ثم ألف العلماء في القرن الثاني وفي القرن الثالث، وقد كثر ذلك في القرن الثالث، فألَّفوا الكتب وجمعوا الأحاديث، حرصاً على السنة وحفظها وصيانتها، فانتقلت من الصدور إلى الكتب المحفوظة المتداولة المتناقلة التي لا ريب فيها ولا شك ثم نقَّبوا عن الرجال وعرفوا ثقتهم من ضعيفهم، من سيئ الحفظ منهم، حتى حرروا ذلك أتم تحرير، وبينوا من يصلح

للرواية ومن لا يصلح للرواية، ومن يُحتج به ومن لا يحتج به، واعتنوا بما قد وقع من بعض الناس من أوهام وأغلاط وعرفوا الكذابين والوضّاعين، فألَّفوا فيهم وأوضحوا أسماءهم. فأيد الله سبحانه وتعالى بهم السنة، وأقام بهم الحجة وقطع بهم المعذرة، وزال تلبيس الملبّسين، وانكشف ضلال الضالين، وبقيت السنة بحمد الله جَلِيَّة وواضحة لا شبهة فيها ولا غبار عليها، وكان الأئمة يعظمون ذلك كثيراً، وإذا رأوا من أحد تساهلاً بالسنة أو إعراضاً أنكروا عليه.

حدَّث ذات يوم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بقول النبي ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»، فقال بعض أبنائه: والله لنمنعهن - عن اجتهاد منه وخوف من تساهل النساء في ذلك وليس قصده إنكار السنة - فأقبل عليه عبد الله وسبه سباً سيئاً، وقال: أقول: قال رسول الله، وتقول: والله لنمنعهن[1].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد، رقم (٤٤٢).

ورأى عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه بعض أقاربه يخذف بالحصى، فقال له: نهى رسول الله ﷺ عن الخذف وقال: «**إنه لا يصيد صيداً، ولا ينكأ عدواً**»، ثم رآه في وقت آخر يخذف، فقال: أقول لك: إن رسول الله نهى عن هذا ثم تخذف، لا أكلمك أبداً [(١)].

فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يعظمون هذا الأمر جداً، ويُحذّرون الناس من التساهل بالسنة أو الإعراض عنها أو الإنكار لها بأي رأي من الآراء أو اجتهاد من الاجتهادات، وهكذا علماء السنة بعدهم.

قال أبو حنيفة رحمه الله في هذا المعنى: إذا جاء الحديث عن رسول الله فعلى العين والرأس، **وإذا جاء عن الصحابة فعلى** العين والرأس، وإذا جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب الخذف والبندقة، رقم (٥٤٧٩)؛ ومسلم: كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة مايُستعان به على الاصطياد، رقم (١٩٥٤).

وقال مالك رضي الله عنه: ما منا إلا رادٌّ ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر، يعني: رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وقال أيضاً: لا يُصلح آخرَ هذه الأمة إلا ما أصلح أولها: وهو اتباع الكتاب والسنة.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: إذا رَوَيْتُ عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحاً ثم رأيتموني خالفته فاعلموا أن عقلي قد ذهب.

وفي لفظ آخر قال: إذا جاء الحديث عن رسول الله وقولي يخالفه، فاضربوا بقولي الحائط.

وقال أحمد رضي الله عنه: لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكاً ولا الشافعي، وخذوا من حيث أخذنا.

وكلام أهل العلم في هذا كثير، والأمر في ذلك واضح وجلي، وقد تكلم أهل العلم في هذا المقام كلاماً كثيراً؛ كأبي العباس ابن تيمية وابن القيم وابن كثير رحمهم الله تعالى وغيرهم، وأوضحوا أن من أنكر السنة فقد ضل سواء السبيل،

ومَن عظَّم آراء الرجال وقدّمها على السنة فقد ضل وأخطأ، وأن الواجب عرض آراء الرجال مها عظموا على كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فما شهدا له بالقبول قُبل وما لم يشهدا له بالقبول لم يُقبل، والأصل في هذا: قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[النساء:٥٩]، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾[الشورى:١٠]، الآية.

وقد كتب الحافظ السيوطي رحمه الله رسالة سماها: (مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة)، وذكر في أولها: **أن من أنكر السنة** وزعم أنه لا يحتج بها فقد كفر بالإجماع، **ونقل كثيراً من كلام** السلف في ذلك.

فهذه مكانة السنة من الإسلام، وأنها الأصل الثاني من أصول الإسلام، وأنها حجة مستقلة قائمة بنفسها **يجب الأخذ** بها والرجوع إليها، متى صح السند عن رسول الله ﷺ **بذلك**.

فنسأل الله تعالى التوفيق والسداد والاستقامة على ذلك والعافية من كل ما يخالف شرعه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

حكم دعاء الأقطاب والأوتاد والاستغاثة بهم[(١)]

السؤال: من الأخ: ع. م. ح من اليمن يقول فيه:

يوجد في بلادنا أناس متمسكون بأوراد ما أنزل الله بها من سلطان منها ما هو بدعي ومنها ما هو شركي، وينسبون ذلك إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره، ويقرءون تلك الأوراد في مجالس الذكر أو في المساجد بعد صلاة المغرب زاعمين أنها قربة إلى الله، كقولهم: **بحق الله رجال الله أعينونا بعون الله وكونوا عوننا بالله**، وكقولهم: **يا أقطاب، ويا أوتاد، ويا أسياد أجيبوا يا ذوي الإمداد، فينا واشفعوا لله هذا عبدكم واقف، وعلى بابكم عاكف، ومن تقصيره خائف، أغثنا يا رسول الله وما لي غيركم مذهب، ومنكم يحصل المطلب، وأنتم خير أهل الله، بحمزة سيد الشهداء، ومن منكم لنا مدد،**

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: (٢٨/ ٢٩٢-٣١١).

أغثنا يا رسول الله، وتكفوهم: اللهم صل على من جعلته سببا لانشقاق أسرارك الجبروتية، وانفلاقاً لأنوارك الرحمانية، فصار نائباً عن الحضرة الربانية وخليفة أسرارك الذاتية.

نرجو بيان ما هو بدعة وما هو شرك وهل تصح الصلاة خلف الإمام الذي يدعو بهذا الدعاء؟

الجواب: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فاعلم- وفقك الله- أن الله سبحانه إنما خلق الخلق وأرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام ليعبد وحده لا شريك له دون ما سواه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، والعبادة هي طاعته سبحانه وطاعة رسوله محمد ﷺ بفعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى الله

عنه ورسوله. عن إيمان بالله ورسوله وإخلاص لله في العمل كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٢٣]، أي: أمر وأوصى بأن يُعبد وحده، وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٢-٥].

أبان سبحانه بهذه الآيات أنه هو المستحق لأن يُعبد وحده ويُستعان به وحده، وقال عز وجل: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٢-٣]، وقال سبحانه: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[غافر:١٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكلها تدل على وجوب إفراد الله بالعبادة، ومعلوم أن الدعاء بأنواعه من العبادة فلا يجوز لأحد من الناس أن يدعو إلا ربه ولا يستعين ولا يستغيث

إلا به؛ عملاً بهذه الآيات الكريمات وما جاء في معناها، وهذا فيما عدا الأمور العادية والأسباب الحسية التي يقدر عليها المخلوق الحي الحاضر، فإن تلك ليست من العبادة، بل يجوز بالنص والإجماع أن يستعين الإنسان بالإنسان الحي القادر في الأمور العادية التي يقدر عليها. كأن يستعين به أو يستغيث به في دفع شر ولده أو خادمه أو كلبه وما أشبه ذلك، وكأن يستعين الإنسان بالإنسان الحي الحاضر القادر، أو الغائب بواسطة الأسباب الحسية كالمكاتبة ونحوها في بناء بيته أو إصلاح سيارته أو ما أشبه ذلك.

ومن هذا الباب قول الله عز وجل في قصة موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥]، ومن ذلك استغاثة الإنسان بأصحابه في الجهاد والحرب ونحو ذلك.

فأما الاستغاثة بالأموات والجن والملائكة والأشجار والأحجار فذلك من الشرك الأكبر، وهو من جنس عمل

المشركين الأولين مع آلهتهم كالعزى واللات وغيرهما، وهكذا الاستغاثة، والاستعانة بمن يعتقد فيهم الولاية من الأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله، كشفاء المرضى وهداية القلوب ودخول الجنة والنجاة من النار وأشباه ذلك، والآيات السابقات وما جاء في معناها من الآيات والأحاديث كلها تدل على وجوب توجيه القلوب إلى الله في جميع الأمور وإخلاص العبادة لله وحده؛ لأن العباد خُلقوا لذلك وبه أُمروا كما سبق في الآيات، وكما في قوله سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]، الآية، وقول النبي ﷺ في حديث معاذ رضي الله عنه: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»(١)، متفق على صحته، وقوله ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه:

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد السير، باب اسم الفرس والحمار، رقم (٢٨٥٦) ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم (٣٠).

«من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار»[١]، رواه البخاري. وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: **«إنك تأتي أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»**[٢]، وفي لفظ: **«فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»**[٣]، وفي رواية للبخاري: **«فادعهم إلى أن يوحدوا الله»**[٤].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً)، رقم (٤٤٩٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء، رقم (١٤٥٨)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم (١٩).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء، رقم (١٤٩٦)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم (١٩).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب ماجاء في دعاء النبي ﷺ، رقم (٧٣٧٢).

وفي صحيح مسلم عن طارق بن أشيم الأشجعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من وحّد الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل**»[1].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهذا التوحيد هو أصل دين الإسلام وهو أساس الملة وهو رأس الأمر وهو أهم الفرائض، وهو الحكمة من خلق الثقلين والحكمة من إرسال الرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام، كما تقدمت الآيات الدالة على ذلك، ومنها: قوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، ومن الأدلة على ذلك أيضاً قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، رقم (٢٣).

مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[الأنبياء:٢٥]، وقال عز وجل عن نوح وهود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام إنهم قالوا لقومهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩]، وهذه دعوة الرسل جميعاً كما دلت على ذلك الآيتان السابقتان.

وقد اعترف أعداء الرسل بأن الرسل أمروهم بإفراد الله بالعبادة وخلع الآلهة المعبودة من دونه، كما قال عز وجل في قصة عاد أنهم قالوا لهود عليه الصلاة والسلام: ﴿أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف:٧٠]، وقال سبحانه وتعالى عن قريش لما دعاهم نبينا محمد ﷺ إلى إفراد الله بالعبادة وترك ما يعبدون من دونه من الملائكة والأولياء والأصنام والأشجار وغير ذلك: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ﴾[ص: ٥]، وقال عنهم سبحانه في سورة الصافات:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦]، والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة.

ومما ذكرناه من الآيات والأحاديث يتضح لك- وفقني الله وإياك للفقه في الدين والبصيرة بحق رب العالمين- أن هذه الأدعية وأنواع الاستغاثة التي بينتها في سؤالك كلها من أنواع الشرك الأكبر؛ لأنها عبادة لغير الله وطلب لأمور لا يقدر عليها سواه من الأموات والغائبين، وذلك أقبح من شرك الأولين؛ لأن الأولين إنما يشركون في حال الرخاء، وأما في حال الشدائد فيخلصون لله العبادة؛ لأنهم يعلمون أنه سبحانه هو القادر على تخليصهم من الشدة دون غيره، كما قال تعالى في كتابه المبين عن أولئك المشركين: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[العنكبوت:٦٥]، قال سبحانه وتعالى يخاطبهم في آية أخرى في سورة سبحان: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ

ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٦٧]، فإن قال قائل من هؤلاء المشركين المتأخرين: إننا لا نقصد أن أولئك ينفعون بأنفسهم ويشفون مرضانا بأنفسهم أو يعينونا بأنفسهم أو يضرون عدوًّا بأنفسهم، وإنما نقصد شفاعتهم إلى الله في ذلك.

فالجواب: أن يقال لهم: إن هذا هو مقصد الكفار الأولين ومرادهم، وليس مرادهم أن آلهتهم تخلق أو ترزق أو تنفع أو تضر بنفسها، فإن ذلك يبطله ما ذكره الله عنهم في القرآن.

وإنما أرادوا شفاعتهم وجاههم وتقريبهم إلى الله زلفى، كما قال سبحانه وتعالى في سورة يونس عليه الصلاة والسلام: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ فرد الله عليهم ذلك بقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس:١٨]، فأبان سبحانه أنه

لا يعلم في السماوات ولا في الأرض شفيعاً عنده على الوجه الذي يقصده المشركون، وما لا يعلم الله وجوده لا وجود له؛ لأنه سبحانه لا يخفى عليه شيء.

وقال تعالى في سورة الزمر: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[الزمر: ١-٣]، فأبان سبحانه أن العبادة له وحده وأنه يجب على العباد إخلاصها له جل وعلا؛ لأن أمره للنبي ﷺ بإخلاص العبادة له أمر للجميع.

ومعنى الدين هنا هو العبادة، والعبادة هي طاعته وطاعة رسوله ﷺ كما سلف، ويدخل فيها: الدعاء والاستغاثة والخوف والرجاء والذبح والنذر، كما يدخل فيها: الصلاة والصوم وغير ذلك مما أمر الله به ورسوله.

ثم قال عز وجل بعد ذلك: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[الزمر: ٣]، أي يقولون:

ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فرد الله عليهم بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر:٣]، فأوضح سبحانه في هذه الآية الكريمة أن الكفار ما عبدوا الأولياء من دونه إلا ليقربوهم إلى الله زلفى.

وهذا هو مقصد الكفار قديماً وحديثاً، وقد أبطل الله ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر:٣]، فأوضح سبحانه كذبهم في زعمهم أن آلهتهم تقربهم إلى الله زلفى وكفَّرهم بما صرفوا لها من العبادة؛ وبذلك يعلم كل من له أدنى تمييز أن الكفار الأولين إنما كان كفرهم باتخاذهم الأنبياء والأولياء والأشجار والأحجار وغير ذلك من المخلوقات شفعاء بينهم وبين الله، واعتقدوا أنهم يقضون حوائجهم من دون إذنه سبحانه ولا رضاه، كما تشفع الوزراء عند الملوك فقاسوه عز وجل على الملوك والزعماء،

وقالوا: كما أنه من له حاجة إلى الملك والزعيم يتشفع إليه بخواصه ووزرائه، فهكذا نحن نتقرب إلى الله بعبادة أوليائه.
وهذا من أبطل الباطل؛ لأنه سبحانه لا شبيه له ولا يقاس بخلقه، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لأهل التوحيد، وهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم وهو أرحم الراحمين، لا يخشى أحداً ولا يخافه؛ لأنه سبحانه هو القاهر فوق عباده، والمتصرف فيهم كيف يشاء؛ بخلاف الملوك والزعماء، فإنهم ما يقدرون على كل شيء، ولا يعلمون كل شيء؛ فلذلك يحتاجون إلى من يعينهم على ما قد يعجزون عنه من وزرائهم وخواصهم وجنودهم، كما يحتاجون إلى تبليغهم حاجات من لا يعلمون حاجته، ولأن الملوك والزعماء قد يظلمون ويغضبون بغير حق، فيحتاجون إلى من يستعطفهم ويسترضيهم من وزرائهم وخواصهم، أما الرب عز وجل فهو سبحانه غني عن جميع خلقه، وهو أرحم بهم من

أسمائهم، وهو الحاكم العدل يضع الأشياء في مواضعها على مقتضى حكمته وعلمه وقدرته، فلا يجوز أن يُقاس بخلقه بوجه من الوجوه.

ولهذا أوضح سبحانه في كتابه أن المشركين قد أقروا بأنه الخالق الرازق المدبر، وأنه هو الذي يجيب المضطر ويكشف السوء، ويُحيي ويُميت إلى غير ذلك من أفعاله سبحانه، وإنما الخصومة بين المشركين وبين الرسل في إخلاص العبادة لله وحده، كما قال عز وجل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف:٨٧]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وسبق ذكر الآيات الدالة على أن النزاع بين الرسل وبين الأمم إنما هو في إخلاص العبادة لله وحده، كقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ

ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، الآية.وما جاء في معناها من الآيات.

وبين سبحانه في مواضع كثيرة من كتابه الكريم شأن الشفاعة، فقال تعالى في سورة البقرة: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة:٢٥٥]، وقال في سورة النجم: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[النجم:٢٦]، وقال في سورة الأنبياء في وصف الملائكة: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾[الأنبياء:٢٨]، وأخبر عز وجل أنه لا يرضى من عباده الكفر وإنما يرضى منهم الشكر، والشكر هو توحيده والعمل بطاعته، فقال: تعالى في سورة الزمر:﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾[الزمر:٧]، الآية.

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه - أو قال- من نفسه**»[١]، وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يُشرك بالله شيئاً**»[٢]، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وجميع ما ذكرنا من الآيات والأحاديث كله يدل على أن العبادة حق لله وحده، وأنه لا يجوز صرف شيء منها لغير الله،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، رقم (٦٣٠٤)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة، رقم (١٩٩).

لا للأنبياء ولا لغيرهم، وأن الشفاعة ملك الله عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر:٤٤]، الآية.

ولا يستحقها أحد إلا بعد إذنه للشافع ورضاه عن المشفوع فيه، كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، الآية.

والظلم عند الإطلاق هو الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[البقرة:٢٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣].

أما ما ذكرته في السؤال من قول بعض الصوفية في المساجد وغيرها: اللهم صل على من جعلته سبباً لانشقاق أسرارك الجبروتية، وانفلاقاً لأنوارك الرحمانية، فصار نائباً عن الحضرة الربانية، وخليفة أسرارك الذاتية...الخ.

فالجواب: أن يقال: إن هذا الكلام وأشباهه من جملة التكلف والتنطع الذي حذر منه نبينا محمد ﷺ فيما رواه مسلم في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون»(١)، قالها ثلاثاً.

قال الإمام الخطابي رحمه الله: المتنطع المتعمق في الشيء المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم.

وقال أبو السعادات ابن الأثير: هم المتعمقون المغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم، مأخوذ من النطع هو الغار الأعلى في الفم، ثم استُعمل في كل تعمق قولاً وفعلاً.

وبما ذكره هذان الإمامان وغيرهما من أئمة اللغة يتضح لك ولكل من له أدنى بصيرة أن هذه الكيفية في الصلاة

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم (٢٦٧٠).

والسلام على نبينا وسيدنا رسول الله ﷺ من جملة التكلف والتنطع المنهي عنه.

والمشروع للمسلم في هذا الباب أن يتحرى الكيفية الثابتة عن رسول الله ﷺ في صفة الصلاة والسلام عليه وفي ذلك غنية عن غيره، ومن ذلك ما روى البخاري ومسلم في الصحيحين، واللفظ للبخاري عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا: يا رسول الله أمرنا الله أن نُصلي عليك فكيف نُصلي عليك؟ فقال: «**قولوا: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**»[١].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (إن الله وملائكته يصلون على النبي) رقم (٤٧٩٧)؛ ومسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ رقم (٤٠٦).

وفي الصحيحين عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**»[١]، وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال بشير بن سعد: يا رسول الله أمرنا الله أن نُصلي عليك فكيف نُصلي عليك؟ فسكت ثم قال: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما علمتم**»[٢].

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ واتخذ إبراهيم خليلاً ﴾، رقم(٣٣٦٩)؛ ومسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ، رقم (٤٠٧).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ، رقم (٤٠٥).

فهذه الألفاظ وأشباهها وغيرها مما ثبت عن النبي ﷺ هي التي ينبغي للمسلم أن يتعلمها في صلاته وسلامه على رسول الله ﷺ؛ لأن الرسول ﷺ هو أعلم الناس بما يليق أن يستعمل في حقه، كما أنه هو أعلم الناس بما ينبغي أن يُستعمل في حق ربه من الألفاظ، أما الألفاظ المتكلفة والمحدثة والألفاظ المحملة لمعنى غير صحيح كالألفاظ التي ذكرت في السؤال فإنه لا ينبغي استعمالها؛ لما فيها من التكلف ولكونها قد تفسر بمعانٍ باطلة، مع كونها مخالفة للألفاظ التي اختارها رسول الله ﷺ، وأرشد إليها أمته وهو أعلم الخلق وأنصحهم وأبعدهم عن التكلف، عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، وأرجو أن يكون فيما ذكرناه من الأدلة في بيان حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك والفرق بين ما كان عليه المشركون الأولون والمشركون المتأخرون في هذا الباب، وفي بيان كيفية الصلاة المشروعة على رسول الله ﷺ، كفاية ومقنع لطالب الحق.

أما من لا رغبة له في معرفة الحق فهذا تابع هواه، وقد قال الله عز وجل: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[القصص:٥٠]، فبين سبحانه في هذه الآية الكريمة أن **الناس بالنسبة إلى ما بعث الله به نبيه محمداً ﷺ من الهدى ودين الحق قسمان:**

أحدهما: مستجيب لله ولرسوله.

الثاني: تابع لهواه.

وأخبر سبحانه أنه لا أضل ممن اتبع هواه بغير هدىً من الله، فنسأل الله عز وجل العافية من اتباع الهوى، كما نسأله سبحانه أن يجعلنا وإياكم وسائر إخواننا من المستجيبين لله ولرسوله ﷺ والمعظمين لشرعه، والمحذرين من كل ما يخالف شرعه من البدع والأهواء إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

نصيحة مهمة عامة حول بعض المنكرات الواقعة[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه:

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يطلع عليه من المسلمين، وفقني الله وإياهم للفقه في الدين وسلك بي وبهم صراطه المستقيم.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فهذه نصيحة أردت منها التنبيه على بعض الأمور المنكرة التي وقع فيها كثير من الناس جهلاً منهم وتلاعباً من الشيطان بأفكارهم وعقولهم، واتباعاً للهوى من بعض من فعلها.

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: (٣/ ٩٣-١٠٣).

[يدعو إلى عبادة نفسه]

ومن تلك الأمور ما بلغني أن بعض الناس يدعو إلى عبادة نفسه ويدعي أموراً توهم العامة أن له تصرفاً في الكون، وأنه يصلح أن يدعى للنفع والضر، وهذا من هؤلاء الضالين تشبه بفرعون وأشباهه من المجرمين الكافرين، والله سبحانه هو المستحق للعبادة ولا يستحقها سواه لكمال قدرته وعلمه وغناه عن خلقه. والعبادة لله وحده هي الغاية التي من أجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وخلق من أجلها الثقلان، وقام سوق الجهاد، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٥- ٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وقال عز

وجل: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[يونس:١٠٦]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء:٤٨]، وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان:١٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[المائدة:٧٢]، وقال سبحانه: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[التوبة:٣١]، وقال عز وجل: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء:٢٣].

فعلم من هذه الآيات وغيرها أن عبادة غير الله أو عبادة غيره معه من الأنبياء والأولياء والأصنام والأشجار والأحجار شرك بالله عز وجل ينافي توحيده الذي من أجله خلق الله

الثقلين وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيانها والدعوة إليها، وهذا هو معنى لا إله إلا الله. فإن معناها لا معبود حق إلا الله.

فهي تنفي العبادة عن غير الله وتثبتها لله وحده، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[الحج:٦٢]، وهذا هو أصل الدين وأساس الملة، ولا تصح العبادات إلا بعد صحة هذا الأصل، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الزمر:٦٥]، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:٨٨].

ومن أجل هذا الأمر العظيم أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لبيان التوحيد والدعوة إليه والتحذير من صرف العبادة لغير الله سبحانه؛ كما قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل:٣٦]الآية، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ

لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء:٢٥] وقال عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾[هود:١ - ٢]، وقال سبحانه: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [إبراهيم:٥٢]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه سئل: **أي الذنب أعظم؟** قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»[1]، **والند: هو النظير والمثيل، فكل من دعا غير الله أو عبد غير الله أو استغاث به أو نذر له أو ذبح أو صرف له شيئاً من العبادة فقد اتخذه نداً لله، سواء كان نبياً أو ولياً أو ملكاً أو جنياً أو صنماً أو غير ذلك؛ لأن العبادة لله وحده لا يستحقها سواه.**

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**يا معاذ أتدري ماحق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله**

(١) سبق تخريجه

ورسوله أعلم، قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً»(١).

فالله خلق الثقلين لهذا الأمر العظيم وهو توحيده وإفراده بالعبادة، ونبذ الشركاء والنظراء والأنداد له سبحانه، لا إله غيره ولا رب سواه، ومن دعا إلى عبادة نفسه أو زعم أنه يستحق العبادة فإنه كافر يجب أن يدعى إلى التوبة فإن تاب وإلا وجب على ولي الأمر قتله، لقول النبي ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»(٢)، رواه البخاري.

ومن الضلال المبين والجهل العظيم تصديق الكهان والعرافين والرمالين والمنجمين والمشعوذين والدجالين بالإخبار عن المغيبات، فإن هذا منكر وشعبة من شعب الكفر لقول النبي ﷺ: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

ليلة»[١]، رواه مسلم في صحيحه، وثبت عنه ﷺ أنه نهى عن إتيان الكهان وسؤالهم. وخرج أهل السنن عن النبي ﷺ أنه قال: **«من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»**[٢]، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

فالواجب على المسلمين الحذر من سؤال الكهنة والعرافين وسائر المشعوذين والمشتغلين بالإخبار عن المغيبات والمتلاعبين بعقول الجهلة، والتلبيس على المسلمين، فالأمور الغيبية لا يعلمها إلا الذي يعلم ما تُكنّ الصدور ويعلم الخفايا، حتى أنبياؤه ورسله وملائكته لا يعلمون شيئاً من المغيبات إلا ما أخبر هم به سبحانه، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[النمل:٦٥].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وقال عز وجل آمراً نبيه أن يبلغ الناس: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وهذه الآيات وغيرها تدل على أن رسول الله ﷺ لا يعلم الغيب وهو خير الأنبياء وأفضلهم فكيف بغيره من المخلوقين.

فمن اعتقد أنه يعلم الغيب أو أحداً من المخلوقين فقد أعظم على الله الفرية وأبعد النجعة وضل ضلالاً بعيداً وكفر بالله سبحانه، فالأمور المغيبة مما استأثر الله بعلمه قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣٤]، قال ابن مسعود: كل شيء أوتي نبيكم ﷺ غير خمس: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ الآية، وقال ابن

عباس: هذه الخمسة لا يعلمها إلا الله تعالى، ولا يعلمها ملَك مقرب ولا نبي مرسل، فمن ادعى أنه يعلم شيئاً من هذه فقد كفر بالقرآن؛ لأنه خالفه، ثم إن الأنبياء يعلمون كثيراً من الغيب بتعريف الله تعالى إياهم.

فالإيمان بالغيب من أركان الإيمان ومن صفات المؤمنين والصادقين، وادعاء علم الغيب والأخبار بالمغيبات من صفات الكهنة الزائغين عن الهدى ومن صفات الدجالين والمشعوذين والعرافين الذين ضلوا عن الصراط المستقيم وأضلوا غيرهم من جهال المسلمين، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام:٥٩]، الآية. وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مفاتيح الغيب خمس»[(١)]، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾الآية.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾، رقم (٤٦٢٧)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (١٠).

فالواجب على أهل العلم أن ينبهوا على ما يقع فيه الناس من الخطأ العظيم في هذا الباب وغيره، لأنهم مسئولون عنهم أمام الله يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[المائدة:٦٣].

وكذا الاعتقاد أن بني هاشم ذنبهم مغفور ولو فعلوا ما فعلوا وهذا غاية الجهل والضلال.

فإن الله لا ينظر إلى الأحساب والأنساب والأموال وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال، فمن امتثل أوامره واجتنب نواهيه ولازم التقوى وابتعد عن المعاصي والمخالفات فهو الكريم عند الله سواء كان عربياً أو عجمياً، وسواء كان من بني هاشم أو من غيرهم، فالأحساب والأنساب لا تنفع أحداً، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[الحجرات:١٣].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم و لا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[(١)]، وقال: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[(٢)]، وهذا أبو طالب وهو عم رسول الله ﷺ لم ينفعه قربة من رسول الله ﷺ ونسبه العريق، وقد حرص رسول الله على أن يشهد أن لا إله إلا الله حتى يحاجَّ له بها عند الله فلم يفعل؛ لأن الله سبحانه كتب في الأزل أنه يموت على دين الآباء والأجداد وهو الشرك وعبادة الأصنام، ونهى الله نبيه عن الاستغفار له فقال: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ [التوبة:١١٣]، وأخبر أن النبي لا يملك هداية أحد إذا لم يهده الله

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله، رقم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم (٥٢)؛ ومسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم (١٥٩٩).

فقال: ﴿إنك لا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص:٥٦].

وهكذا أبو لهب وهو عم النبي ﷺ مات على الكفر وأنزل الله في ذمِّه سورةً تتلى إلى يوم القيامة وهي ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾[المسد:١]، فالمعيار الحقيقي هو اتباع ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة قولاً وعملاً واعتقاداً، أما الأنساب فإنها لا تنفع ولا تجدي كما قال ﷺ: **«من بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه»**[1]، وقال: **«يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً»**[2]، وهكذا قال لعمه العباس وعمته صفية وابنته فاطمة. ولو كان النسب ينفع أحداً لنفع هؤلاء.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم (٢٦٩٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب، رقم (٢٧٥٣)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، رقم (٢٠٦).

[اعتقاد أن غير الله ينفع ويضر ويشفي]

ومن الأمور المنكرة والاعتقاد الفاسد والضلال المبين ما يعتقده بعض المغفلين والجهال في بعض المخرفين والمشركين الضالين المضلين أنهم يشفون المرضى ويدفعون عنهم الضر ويجلبون النفع، نعوذ بالله من العمى والضلال.

وهذا ينافي الإيمان بالله، وأنه النافع الضار والرازق المحي والمميت، المدبر والقادر، تعالى الله وتقدس عما يقوله الضالون المفترون، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس:١٠٧] فمن اعتقد أن أحداً ينفعه أو يضره أو يشفيه من دون الله فقد كفر بالله وبكتابه وبملائكته ورسله، قال تعالى لأكرم خلقه: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ [الجن:٢١- ٢٣]، وقال رسول الله

ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[1]، فالنبي ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا لغيره، فغيره من باب أولى.

فكل من غلا في نبي أو رجل صالح أو ولي من الأولياء، وظن فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول: يا فلان اشفني أو انصرني أو ارزقني أو أغنني ونحو ذلك، فإن هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل.

وكذا من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم، فإنه يكفر إجماعاً، فمن اعتقد أن لغير الله من نبي أو ولي أو جني أو روح أو غير ذلك تأثيراً في كشف كربة أو قضاء حاجة أو رفع مرض أو دفع بلاء دون الله سبحانه، فقد وقع في ضلال كبير، وفي وادٍ من الجهل خطير،

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦٤)؛ والترمذي: كتاب صفة القيامة، والرقائق، باب منه، رقم (٢٥١٦).

فهو على شفا حفرة من السعير، لكونه قد أشرك بالله العظيم، وهكذا من ذكر أحداً من الصالحين والأولياء وغيرهم على وجه طلب الإمداد منه فقد أشركه مع الله؛ إذ لا قادر على الدفع والنفع غيره سبحانه وتعالى.

أما دعاء الحي الحاضر القادر والاستعانة به فيما يقدر عليه مما يجوز شرعاً فلا حرج في ذلك، وليس داخلاً في أنواع الشرك بإجماع المسلمين، لقول الله عز وجل في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾[القصص:١٥]، ولأدلة أخرى من الكتاب والسنة في هذا المعنى، والله ولي التوفيق.

[تعطيل الهاشميات عن الزواج]

ومن الأمور المنكرة أن بعض من يدعي أنه من بني هاشم يقولون: إنه لا يكافئهم أحد، فهم لا يزوجون غيرهم ولا يتزوجون من غيرهم، وهذا خطأ عظيم وجهل كبير وظلم للمرأة وتشريع لم يشرعه الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[الحجرات:١٣]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات:١٠]، وقال: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[التوبة: ٧١]، وقال: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾[آل عمران:١٩٥].

وقال رسول الله ﷺ: **«لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض، إلا بالتقوى، الناس من آدم وآدم من تراب»**[(١)]، وقال ﷺ: **«إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين»**[(٢)]، متفق عليه.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٩٧٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب تُبل الرحم ببلالها، رقم (٥٩٩٠)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم، رقم (٢١٥).

وقال النبي ﷺ: «**إذا خطب إليك من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»[(١)]، خرجه الترمذي وغيره بإسناد حسن، وقد زوج النبي ﷺ زينب بنت جحش الأسدية من زيد بن حارثة مولاه، وزوج فاطمة بنت قيس القرشية من أسامة بن زيد وهو وأبوه عتيقان.

وتزوج بلال بن رباح الحبشي بأخت عبد الرحمن بن عوف الزهرية القرشية.

وزوج أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي ابنة أخيه الوليد سالماً مولاه وهو عتيق لامرأة من الأنصار.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور:٢٦]، وكذا زوج النبي ﷺ ابنتيه رقية وأم كلثوم عثمان، وزوج أبا العاص ابن الربيع ابنته زينب وهما من بني عبد شمس

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب النكاح، باب ماجاء إذا جاءكم من ترضون دينه، رقم (١٠٨٤)؛ وابن ماجه: كتاب النكاح، باب الأكفاء، رقم (١٩٦٧).

وليسا من بني هاشم، وزوج علي عمر بن الخطاب ابنته أم كلثوم وهو عدوي لا هاشمي، وتزوج عبد الله بن عمرو بن عثمان فاطمةً بنت الحسين بن علي وهو أموي لا هاشمي، وتزوج مصعب بن الزبير أختها سكينة وليس هاشمياً بل أسدي من أسد قريش، وتزوج المقداد بن الأسود ضباعة ابنة الزبير بن عبد المطلب الهاشمية ابنة عم النبي ﷺ وهو كندي لا هاشمي، وهذا شيء كثير.

والمقصود بيان بطلان ما يدعيه بعض الهاشميين من تحريم تزويج الهاشمية بغير الهاشمي أو كراهة ذلك، وإنما الواجب في ذلك اعتبار كفاءته في الدين، فالذي أبعد أبا طالب وأبا لهب عدم الإسلام والذي قرب سلمان الفارسي وصهيباً الرومي وبلالاً الحبشي إنما هو الإيمان والصلاح والتقوى واتباع الشرع والسير على النهج المستقيم، ومما ينجم عن هذا الجهل والتصرف الباطل حبس النساء الهاشميات وتعطيلهن من الزواج أو تأخيره فيحصل ما لا تحمد عقباه من الفساد وتعطيل

النسل أو تقليله، وقد قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[النور:٣٢]، فأمر بإنكاح الأيامى أمراً مطلقاً ليعم الغني والفقير وسائر أصناف المسلمين.

وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد رغبت في الزواج وحثت عليه فإن على المسلمين أن يبادروا إلى امتثال أمر الله ورسوله، حيث قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[١]، متفق على صحته.

فعلى الأولياء أن يتقوا الله في مولياتهم، فإنهن أمانة في أعناقهم وإن الله سائلهم عن هذه الأمانة، فعليهم أن يبادروا إلى

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزبة، رقم (١٩٠٥)؛ ومسلم: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم (١٤٠٠).

تزويج بناتهم وأخواتهم وأبنائهم حتى يؤدي كلٌ دوره في هذه الحياة ويقل الفساد والجرائم.

ومن المعلوم أن حبس النساء عن الزواج أو تأخيره سبب في فشو الجرائم الأخلاقية وانتشارها التي هي من معاول الهدم والدمار، فيا عباد الله اتقوا الله في أنفسكم وفيمن ولاكم الله عليهم من البنات والأخوات وغيرهن وفي إخوانكم المسلمين، واسعوا جميعاً إلى تحقيق الخير والسعادة في المجتمع وتيسير سبل نموه وتكاثره وإزالة أسباب انتشار الجرائم.

واعلموا أنكم مسئولون ومحاسبون ومجزيون على أعمالكم قال الله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣]، وقال عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [النجم:٣١]، وبادروا إلى تزويج بناتكم وأبنائكم مقتدين بنبيكم ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم والسائرين

على هديهم وطريقتهم، وأوصيكم بتقليل مؤن الزواج، وعدم المغالاة في المهور، واقتصدوا في تكاليف الزواج واجتهدوا في اختيار الأزواج الصالحين الأتقياء ذوي الأمانة والعفة.

رزق الله الجميع الفقه في الدين والثبات عليه، وأعاذنا وإياكم وسائر المسلمين من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. وجنبنا وإياكم مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، كما نسأله أن يصلح ولاة أمور المسلمين ويصلح بهم، إنه على ذلك قدير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

الفهرس

